# المَحَجّة البيضاء

## بيان أهمية السنة ووجُوب التمسك بها
## وتحريم البدع وبيان أنواعها وسوء مُنقلب أهلها

كتبته
أم تميم

# الباب الأول

# العلم وفضله وشرفه

## تمهيد

**معنى العلم لغة:** هو الاعتقادُ الجازم المطابق للواقع.

**وقال الحكماء:** هو حُصولُ صورة الشيء في العقل.

والأول أخص من الثاني.

**وقيل:** العلمُ: إدراكُ الشيء على ما هو به. وقيل: زوالُ الخفاء من المعلوم، والجهل نقيضه. وقيل: هو مُستغن عن التعريف. وقيل: العلمُ: صفة راسخة تُدرك بها الكليات والجزئيات... (١).

اعلم أنّ العلمَ قسمان: علمٌ شرعي، وعلمٌ دُنيوي. أما ما نحن بصدد الكلام عنه فهو العلم الشرعي.

### هل طلب العلم الشرعي فريضة على كل مُسلم؟

العلمُ منه ما هو فرض عَين على كل مُسْلم أنْ يعلمه، وهي الأعمالُ التي كُلِّفَ بها المسلم وكانت فرضًا عليه لا يقومُ غيره مقامه، كالطهارة، والوضوء، والصيام إلى غير ذلك.

ومنه ما هو فرضٌ على الكفاية: إذا قام به البعض سَقط عن الباقين، وإذا لم يقم به أحَد أثِمَ الجميعُ، كعلم الدّيات، والحُدود، والمواريث إلى غير ذلك.

قال الله تعالى: {وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ

(١) التعريفات للجرجاني (ص: ١٩٩). وانظر: لسان العرب (٦/ ٤١٥) مادة (علم).

تَحۡذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

**قال القرطبي ﵀[1] في مَعرض شرحه للآية:** طلبُ العلم ينقسم قسمين:

فرضٌ على الأعيان: كالصلاة، والزكاة. قلتُ- القرطبي - : وفي هذا المعنى جاء الحديث المروي: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»[2].

وفرضٌ على الكفاية: كتحصيل الحُقوق، وإقامة الحُدود، والفصل بين الخصوم ونحوه، إذ لا يصلُح أنْ يتعلمه جميع الناس فتضيع أحوالهم وأحوال سراياهم، وتنقص أو تبطل معايشهم، فتعيّن بين الحالين أنْ يقوم به البعض من غير تعيين [3].

---

(١) هو الإمام المفسر: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، من أهل قرطبة، ولد في أواخر القرن السادس، أو مستهل القرن السابع، ثم رحل إلى صعيد مصر واستقر فيها إلى أن توفي في شوال سنة ٦٧١ هـ. أشعري في باب الأسماء والصفات؛ فقد ذكر في كتابه "الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" منهج السلف وأنه لا يقول به ولا يختاره، قال ابن تيمية: أبو عبد الله القرطبي وهو من أكابر علماء الأشعرية .

الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٤٣٧/١٠)، الأعلام للزركلي (٣٢٢/٥)، مناهج المفسرين للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (ص١٥).

(٢) سنن ابن ماجه (٢٢٤)، وشُعب الإيمان للبيهقي (١٥٤٣) وضعفه . وقال ابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (٢٣/١): هذا حديث يروى عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة كلها معلولة لا حجة في شيء منها عند أهل العلم بالحديث من جهة الإسناد. وقال ابن حبان في الصحيح (١٤١/١): ليس بصحيح.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٧٤/٨)

قال ابنُ عبد البر رحمه الله[1]: قد أجمع العُلماءُ على أنَّ من العلم ما هو فرض مُتعيّن على كل امرئٍ في خاصة نفسه، ومنه ما هو فرض على الكفاية إذا قام به قائم سَقط فرضه عن أهل ذلك الموضع.

واختلفوا في تلخيص ذلك، والذي يلزم الجميع من ذلك ما لا يسع الإنسان جهله من جملة الفرائض المفترضة عليه، نحو الشهادة باللسان والإقرار بالقلب بأنّ الله وحده لا شريك له، ولا شبه له، ولا مثل له، لم يلد ولم يُولد، ولم يكن له كُفوًا أحَد، خالق كل شيء وإليه يرجع كل شيء...

والشهادة بأنّ محمدًا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه حَق، وأنَّ البعثَ بعد الموت للمُجازاة بالأعمال، والخُلود في الآخرة لأهل السعادة بالإيمان والطاعة في الجنة، ولأهل الشقاوة بالكفر والجحُود في السعي الحق.

وأنّ القرآنَ كلام الله، وما فيه حَق من عند الله يلزم الإيمان بجميعه، واستعمال مُحكمه.

وأنّ الصلوات الخمس فريضة، ويلزمه من علمها علم ما لا تتم إلا به من طهارتها وسائر أحكامها.

---

(١) هو: شيخ الإسلام حافظ المغرب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، من كبار حفاظ الحديث، فقيه حافظ مكثر، عالم بالقراءات وبالخلاف. ولد سنة ثمان وستين وثلاثمائة. وكان دينا ثقة حجة صاحب سنة واتباع، وكان أولا ظاهريا أثريا ثم صار مالكيا مع ميل كثير إلى فقه الشافعي. توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة.
تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/٢١٧)، الأعلام (٨/٢٤٠).

وأنّ صومَ رمضان فرض، ويلزمه عِلم ما يُفسد صومه، وما لا يتم إلا به، وإن كان ذا مال وقدرة على الحج لزمه فرضًا أنْ يعرف ما تجب فيه الزكاة؟ ومتى تجب؟ وفي كم تجب؟ ولزمه أنْ يعلم بأنّ الحجَ عليه فرض مرة واحدة في دهره إنْ استطاع السبيل إليه، وإلى أشياء يلزمه معرفة جُملها ولا يعذر بجهلها نحو تحريم الزنا، وتحريم الخمر، وأكل الخنازير، وأكل الميتة، والأنجاس كلها، والسرقة، والربا، والغصب، والرشوة في الحُكم، وشهادة الزور، وأكل أموال الناس بالباطل وبغير طيب نفس... وتحريم الظلم كله، وهو كل ما منع الله عز وجل منه ورسوله ﷺ، وتحريم نكاح الأمهات والبنات والأخوات ومَن ذكر معهن، وتحريم قتل النفس المؤمنة بغير حق، وما كان مثل ذلك كله مما قد نطق به الكتاب وأجمعت الأمة عليه.

ثم سائر العلم وطلبه والتفقه فيه، وتعليم الناس إياه وفتواهم به في مصالح دينهم ودنياهم، والحكم به بينهم فرض على الكفاية، ويلزم الجميع فرضه، فإذا قام به قائم سقط فرضه عن الباقين، لا خلافَ بين العُلماء في ذلك، وحُجتهم فيه: قول الله عز وجل: {فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ} [التوبة: ١٢٢].

فألزم النفيرَ في ذلك البعضَ دون الكُلِّ، ثم ينصرفون فيعلِّمون غيرهم.

والطائفة في لسان العرب: الواحد فما فوق[١].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله[٢] عندما سُئل عن قوله ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (ص: ١٠-١٢).

(٢) هو الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام، الزاهد الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي =

**فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»[1]، فقال: كلّ عَمل كان عليك فرضًا فطُلِبَ علمه عليك فرضٌ، وما لم يكن العملُ به عليك فرضًا، فليس طلبُ علمه عليك بواجب[2].

---

=

اليربوعي، أبو علي: شيخ الحرم المكي، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي. ولد في سمرقند، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها. ثم سكن مكة وتوفي بها في أول سنة سبع وثمانين ومائة في خلافة هارون وكان ثقة ثبتا فاضلا عابدا ورعا كثير الحديث.

الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٥٠٠)، وفيات الأعيان لابن خلكان البرمكي الإربلي (٤/ ٤٧)، الأعلام للزركلي (٥/ ١٥٣).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) معالم السنن للخطابي (٤/ ١٧١).

اعلم أنّ العلمَ أشرفُ ما في الإنسان وأن فضله وقدره بما يحمله من العلم، فكفى بالعلم شرفًا أنْ يفرح كلُّ مَن وُصِف به وإن لم يكن فيه، وكفى بالجهل ذمًّا أنْ يحزن من وصف به وإنْ كان فيه، كذا قال بعضُ السلف، ففضلُ العلم واضحٌ جليّ بشواهدِ العقل والنقل.

**فأما شواهدُ النقل:** فقد نطق به الكتاب العزيز في أكثر من موضع، وكذا السنة المطهرة، وصنّف فيه الأئمة على مرّ الزمان، ونذكر هٰهُنا بعضًا من فضائل العلم.

**رفعة دَرجات أهل العلم والإيمان:**

قال الله تعالى: {يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة: ١١].

**استشهد الله سُبحانه بأولى العلم على وحْدانيته:**

قال جلّ ذكره: {شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ} [آل عمران: ١٨].

**قال الغزالي رحمه الله[1]:** فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثني بالملائكة،

(١) هو: الشّيخ، الإمام، البحر، حجّة الإسلام، أعجوبة الزّمان، زين الدّين الغزّاليّ أبو حامدٍ محمّد بن محمّد بن محمّدٍ الصوفي الأشعري، صاحب التّصانيف، والذّكاء المفرط. ذو الأنباء الشّنيعة، والتّصانيف العظيمة، غلا في طريقة التّصوّف، أخذ عليه فيها مواضع، ومهر في الكلام والجدل، حتّى صار عين المناظرين، والله أعلم بسرّه، مات سنة خمسٍ وخمسمائةٍ.
سير أعلام النبلاء (١٩/٣٢٢)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٤/٨٧).

وثلَّث بأهل العلم، وناهيك بهذا شرفًا وفضلاً وجلاء ونبلاً[1].

**قال ابنُ القيم ﵀[2]:** وهذا يدلّ على فضل العلم وأهله من وجوه:-

**أحدها:** استشهادهم دون غيرهم من البشر.

**والثاني:** اقترانُ شهادتهم بشهادته.

**والثالث:** اقترانُها بشهادة الملائكة.

**والرابع:** أنّ في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم، فإنّ الله لا يستشهد من خلقه إلا العُدول[3].

**العلمُ من أجَلّ النعم وأعظمها:**

ولم لا؟ وقد أمر الله جلّ في عُلاه نبيه ﷺ بطلب المزيد من العلم، فقال تعالى: {فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا} [طه: ١١٤].

---

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٢٥).

(٢) هو: الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي بل المجتهد المطلق المفسر النحوي الأصولي، الشهير بابن قيم الجوزية، وإمامها. ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة. سمع الحديث واشتغل بالعلم، وبرع في علوم متعددة لا سيما علم التفسير والحديث. كان جريء الجنان، واسع العلم، عارفا بالخلاف ومذاهب السلف، توفي سنة إحدى وخمسين وسبعمائة.

البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع للإمام الشوكاني (٢/١٤٣)، الأعلام للزركلي (٦/٥٦).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/٢١٩).

فمكانة النبي ﷺ عند الله معلومة، ولو يعلم الله تعالى أنّ في الدنيا شيئًا أنفع لنبيه ﷺ من العلم لأمره أنْ يطلبه، ولكنّه العليم الخبير، يعلم أنّ سعادة العبد في الدنيا ونجاته من الآفات التي تعطل سيره إلى الله لا يكونُ إلا بالعلم، ونيله الدرجات العلى في الآخرة لا يكون إلا بالعلم، شريطة أن يحمله العلم على العمل الصالح.

**قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[1] في معرض شرحه للآية:** واضحُ الدلالة في فضل العلم؛ لأنّ الله تعالى لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم. والمرادُ بالعلمِ: العلمُ الشرعي الذي يُفيد معرفة ما يجب على المكلَّف من أمر عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه[2].

---

(١) هو: حافظ الوقت العلامة شيخ الإسلام شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني الشافعي انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بالعلل وأسماء الرجال وأحوال الرواة والجرح والتعديل والناسخ والمنسوخ والمشكلات، وله مع جلالة قدره تأويلات لجملة من صفات الله عز وجل -كما يظهر في فتح الباري وقد نبه عليها العلماء- منها تأويله لصفة العين، وصفة الوجه، كما تردد في الصوت بين التفويض والتأويل، وتبنيه لقول الأشاعرة في القرآن ونفيه الصوت والحرف. ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، ولي قضاء الديار المصرية مرتين، وتوفي سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة بالقاهرة.

ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد لأبي الطيب المكي (١/٣٥٢)، الأعلام للزركلي (١/١٧٨).

(٢) الفتح (١/١٧٠، ١٧١).

## العلم منّة وفضل من الله تعالى

قال تبارك وتعالى: {لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ} [آل عمران: ١٦٤] وقال سبحانه: {وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} [النساء: ١١٣].

وقال جل وعلا: {كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥١، ١٥٢].

ذكَّرَ الله تعالى عباده المؤمنين بنعمة العلم، وأنها نعمة تستوجب الذكر والشكر، والذكر باللسان والشكر باللسان والجوارح والجَنَان.

## أهلُ العلم هم أهل الخشية، والخشية سببٌ في دخول الجنة

قال جل ذكره: {إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ} [فاطر: ٢٨].

قال ابنُ القيم رحمه الله: وهذا حَصْرٌ لخشيته في أولي العلم، وقال تعالى: {جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ} [البينة: ٨] وقد أخبر أنّ أهل خشيته هم العُلماء، تدلّ على أنّ هذا الجزاء المذكور للعُلماء بمجموع النصين[١].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٢٥).

## لا يستوي العالم والجاهل عند الله تعالى

قال الله تعالى: {هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ} [الزمر: ٩].

**قال الزجاجُ رحمه الله(١):** أي كما لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، كذلك لا يستوي المطيع والعاصي(٢).

**قال القرطبي رحمه الله:** وقال غيره: الذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به، فأما مَن لم ينتفع بعلمه ولم يعمل به فهو بمنزلة مَن لم يعلم(٣).

## العلمُ شرط في صحة القول والعَمل

قال الله تبارك وتعالى: {فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ} [محمد: ١٩].

**قال البخاري رحمه الله (٤):** العلمُ قبل القول والعَمل، لقوله تعالى: {فَٱعۡلَمۡ

---

(١) هو: الإمام، نحويّ زمانه، أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن السّريّ، مصنّف كتاب (معاني القرآن)، وله تآليف جمّةٌ، مات: سنة إحدى عشرة وثلاثمائةٍ، وقيل: مات في تاسع عشر جمادى الآخرة، سنة عشرة وثلاثمائة.

سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٠)، الأعلام للزركلي (١/ ٤٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٢٩).

(٣) المصدر السابق.

(٤) هو: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي، الحافظ المحدث الفقيه شيخ الإسلام، وإمام الحفاظ صاحب "الصحيح" والتصانيف، ولد في شوال سنة ١٩٤هـ، وكان رأسًا في الذكاء والعلم والورع والعبادة، قال ابن خزيمة: ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من البخاري، مات سنة =

أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ } وأنّ العُلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم، مَن أخذه أخذ بحظ وافر، ومَن سلك طريقًا يطلب به علمًا سهّل الله له طريقًا إلى الجنة[1]...

**وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما:** كونوا ربانيين حُكماء فقهاء.

قال البخاري: يُقال: الربانيُّ: الذي يُربي الناس بصغار العلم قبل كباره[2].

**قال ابنُ المنُير رحمه الله[3] مُعقبًا على قول البخاري:** باب العلم قبل القول والعمل، أراد به: أنّ العلم شرط في صحة القول والعمل؛ فلا يُعتبران إلا به، فهو مُتقدّم عليهما؛ لأنه مُصحّح للنية المصحِّحة للعمل، فنبّه المصنفُ على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم: إنّ العلمَ لا ينفعُ إلا بالعمل، تهوين أمر العمل والتساهل في طلبه [4][1].

---

= ٢٥٦هـ..

تذكرة الحفاظ (٢/ ٢٥٥)، وتاريخ دمشق (٥٢/ ٥٠).

(١) سيأتي تخريج هذه الأحاديث قريبًا بإذن الله.

(٢) الفتح (١/ ١٩٢).

(٣) ابن المُنَيِّر السِّكَنْدَري: أحمد بن محمد بن منصور، المالكيّ: من علماء الإسكندرية وأدبائها. ولي قضاءها وخطابتها مرّتين. له تصانيف، منها: (تفسير) و (ديوان خطب) و (تفسير حديث الإسراء) على طريقة المتكلمين لا عَلَى طريقة السَّلف، و (الانتصاف من الكشاف - ط). وله تأليف على تراجم صحيح الْبُخَارِيّ. وقيل: إن الشّيْخ عزّ الدين ابن عبد السلام كان يقول: ديار مصر تفتخر برجلين فِي طَرَفيها، ابن المُنَيْر بالإسكندرية، وابن دقيق العيد بقوص. توفي سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م.

انظر: تاريخ الإسلام للذهبي ١٥/ ٤٩١ - الأعلام ١/ ٢٢٠ .

(٤) يقصد الذين يحثون الناس على العبادة والعمل ويصدونهم عن طلب العلم، والله =

**عظم قدر الآخرة يُعلَم بالعلم:**

مَن عَلم أنّ الدنيا فانية لا قيمة لها، وعَلم أنّ الآخرة باقية لا نهاية لها، شمّر عن ساعديه لعمل الآخرة، وهذا لا يحصلُ إلا لأهل العلم، وعلى قدْر العلم تعلو الهمم وتصدُق العزائم، وقد أخبرنا الله تعالى في سياق قصة قارون عندما افتتن العَوام بجاهه وماله وسُلطانه- أنّ الذين ثبتت قلوبهم ولم يغتروا بما عنده من دنيا هُم أهل العلم.

قال جلّ ثناؤه: {فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾}. [القصص ٧٩، ٨٠].

قال ابنُ كثير رحمه الله(٢): فلما سمع مقالتهم أهلُ العلم النافع، قالوا لهم: {وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا } أي: جَزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خيرٌ مما ترون(٣) .

---

= أعلم.

(١) المصدر السابق.

(٢) هو الإمام العلامة، ثقة المحدثين وعمدة المؤرخين وعلم المفسرين، الحافظ الكبير إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن درع القرشي الأموي صاحب التفسير والتاريخ. توفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة.

شذرات الذهب لابن العماد (٦/٢٣١)، الدرر الكامنة لابن حجر (١/٣٧٣)، الأعلام للزركلي (١/٣٢٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/٤٤٩).

**قال الغزالي رحمه الله:** بيّن أنّ عِظَم قدْر الآخرة يُعلَم بالعلم(١).

## مَن رُزق العلم النافع فقد أراد الله به خيراً

عن مُعَاوية بن أبي سُفْيَان رضي الله عَنْهُما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»(٢).

**قال ابنُ حَجَر رحمه الله:** والفقهُ هو الفَهمُ، قال تعالى: {لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا} [النساء: ٧٨] أي لا يفهمون، والمرادُ الفهم في الأحكام الشرعية(٣).

**قال النووي رحمه الله(٤) في مَعرض شرحه للحَديث:** فيه فضيلة العلم والتفقه في الدين، والحث عليه، وسببه أنه قائدٌ إلى تقوى الله تعالى(٥).

---

(١) الإحياء (١/٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧١) ومسلم (٩٨-١٠٣٧).

(٣) فتح الباري (١/١٩٤).

(٤) هو الشيخ الإمام العلامة محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين محمد ابن جمعة بن حرام الحزامي النووي الحافظ الفقيه الشافعي شيخ الإسلام أستاذ المتأخرين، محرر المذهب ومهذبه وضابطه ومرتبه، ولد سنة إحدى وثلاثين وست مائة، ونشأ ببلده نوى، وقد ولي الشيخ محيي الدين مشيخة دار الحديث الأشرفية بعد الشيخ شهاب الدين أبي شامة سنة خمس وستين، إلى أن توفي. قال الذهبي: إن مذهبه في الصفات السمعية السكوت، وإمرارها كما جاءت، وربما تأول قليلا في شرح مسلم. وقال السخاوي: وصرح اليافعي والتاج السبكي رحمهما الله أنه أشعري.

طبقات الشافعيين للإمام ابن كثير (١/٩٠٩)، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٥/٣٥٤ - ٣٥٥)، الأعلام (٨/١٤٩).

(٥) مُسلم بشرح النووي (٤/١٣٩).

## ثناءُ الله تعالى على أهل العلم، واستغفارُ أهل السموات والأرض لهم، وبيانُ فضل العالم على العابد

وعن أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ**»(١).

وفي رواية: «**إِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(٢).

**قال ابنُ عَبَّاس رضي الله عنهما:** إنّ الذي يُعلّم الناس الخير تستغفر له كل دابة، حتى الحوت في البحر (٣).

**قال ابن قُدامة رحمه الله(٤):** فإن قيل: ما وجه استغفار الحوت للمعلم؟

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٨٥)، وحسنه الألباني في "الترغيب والترهيب" (٧٧).

(٢) صحيحٌ: سنن الترمذي (٢٦٨٢) وسنن أبي داود (٣٦٤١) وابن ماجه (٢٢٣). وحسنه الألباني في الترغيب والترهيب (٦٧).

(٣) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة (١٤).

(٤) هو: الشيخ، الإمام، القدوة، العلامة، المجتهد، شيخ الإسلام، موفق الدين، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي، الجماعيلي، ثم الدمشقي، الصالحي، الحنبلي، صاحب (المغني) وكان ثقة، حجة، نبيلا، غزير الفضل، نزها، ورعا، عابدا، على قانون السلف، عليه النور والوقار، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه. توفي إلى رحمة الله يوم الفطر، سنة عشرين وستمائة.
=

فالجواب: أن نفع العلم يعم على كل شيء حتى الحوت، فإن العلماء عرفوا بالعلم ما يحل ويحرم، وأوصوا بالإحسان إلى كل شيء حتى إلى المذبوح[1] والحوت، فألهم الله تعالى الكل للاستغفار لهم؛ جزاء لحسن صنيعهم[2].

قال أبو العباس القرطبي رحمه الله[3]: فالعُلماءُ هم العالمون بمصالح الأمَّة بعده، الذَّابون عن سُنته، الحافظون لشريعته، فهؤلاء الأحَقّ بالوراثة، والأوْلى بالنيابة والخلافة. وأما العُبَّاد فلم يُطلق عليهم اسم الوراثة لقُصور نفعهم ويسير حظهم... إلى أنْ قال: وقوله: «**فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**» أي: بحظ عظيم لا شيء أعظم منه، ولا أفضل، كما ذكرناه[4]. انتهى.

## تيسير طريق الجنة لطالب العلم

وقد أخرج مُسلم في صحيحه، من حَديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ

---

= سير أعلام النبلاء (٢٢/١٦٥)، فوات الوفيات (٢/٢٥٨).

(١) يُشير إلى حديث شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ أنّ رسُولَ الله ﷺ قالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ». أخرجه مُسلم (٥٧-١٩٥٥).

(٢) مختصر منهاج القاصدين (١٤، ١٥).

(٣) هو: أبو العباس ضياء الدين أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري الأندلسيّ القرطبي المالكي الفقيه المحدث. رحل مع أبيه من الأندلس وهو صغير إلى فاس وتلمسان، ثم الإسكندرية، والمدينة ومكّة، والقدس وفي أبو العباس القرطبي / في الرابع من ذي القعدة من عام ٦٥٦هـ، ودفن بالإسكندرية.

الوافي بالوفيات (٧/١٧٣)، وتذكرة الحفاظ (٤/١٥٤)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٢/٤٤٣).

(٤) المفهم لما أشكل من صحيح مُسلم (٦/٦٨٦).

قال: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»[1].

قال النووي ﷺ في مَعْرض شرحه للحديث: إنّ فيه فضل المشي في طلب العلم، ويلزم من ذلك الاشتغال بالعلم الشرعي، بشرط أنْ يقصد به وجْه الله تعالى، وإنْ كان هذا شرطًا في كل عبادة، لكن عادة العُلماء يُقيدون هذه المسألة به، لكونه قد يتساهل فيه بعض الناس، ويغفل عنه بعض المبتدئين ونحوهم[2].

## أهلُ العلم لا ينقطع عملهم بموتهم، كسائر الناس

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضي اللهُ عَنْه قَالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[3].

قال الطيبي ﷺ[4]: أي ينقطع ثواب عمله من كل شيء، ولا ينقطعُ ثوابه

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) مُسلم بشرح النووي (٩/٢٨).

(٣) أخرجه مُسلم (١٦٣١) والبخاري في "الأدب المفرد" (٣٨) وغيرهما.

(٤) هو: الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي: من علماء الحديث والتفسير والبيان. من أهل توريز، من عراق العجم. كانت له ثروة طائلة من الإرث والتجارة، فأنفقها في وجوه الخير، حتى افتقر في آخر عمره. وكان شديد الردّ على المبتدعة، ملازمًا لتعليم الطلبة والإنفاق على ذوي الحاجة منهم، آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، متواضعا، ضعيف البصر.

من كتبه: التبيان في المعاني والبيان، والخلاصة في معرفة الحديث، وشرح الكشاف في التفسير، سماه (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، وشرح مشكاة المصابيح في =

من هذه الثلاث[1].

**قال المناوي رحمه الله [2]:** «**أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ**» كتعليم وتصنيف.

**قال التاجُ السُّبكي [3]:** والتصنيفُ أقوى؛ لطُول بقائه على مَرّ الزمان[4].

## الترهيبُ من ترك العمل بالعلم

قال الله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣} [الصف: ٢، ٣].

وقال سبحانه: {أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ

---

= الحديث. توفي سنة ٧٤٣ هـ.

انظر: البدر الطالع (١/ ٢٢٩) - الأعلام (٢/ ٢٥٦).

(١) عون المعبود (٨/ ٦٢).

(٢) هو: محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين: من كبار العلماء بالدين والفنون. له نحو ثمانين مصنفا، عاش في القاهرة، وتوفي بها. من كتبه فيض القدير، والتوقيف على مُهمات التعاريف، وتاريخ الخلفاء. توفي سنة ١٠٣١ هـ.

انظر: الأعلام (٦/ ٢٠٤).

(٣) هو: عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو نصر: قاضي القضاة، المؤرخ، الباحث. ولد في القاهرة، وتوفي بدمشق. كان طلق اللسان، قوي الحجة، انتهى إليه قضاء في الشام وعزل، وتعصب عليه شيوخ عصره فاتهموه بالكفر واستحلال الخمر، وأتوا به مُقيدًا مغلولا من الشام إلى مصر. ثم أفرج عنه، وعاد إلى دمشق، فتوفي بالطاعون. من تصانيفه: طبقات الشافعية الكبرى، والأشباه والنظائر. توفي سنة ٧٧١ هـ. انظر: الأعلام ٤/ ١٨٤.

(٤) المصدر السابق.

ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤].

وقال جلّ ذكره: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الجمعة: ٥].

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**»(١).

وعَنْ أَبِي بَرْزَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ مِثْلُ الْفَتِيلَةِ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَتَحْرِقُ نَفْسَهَا**»(٢).

وكان رَسُولُ الله ﷺ يتعوّذ بالله من عِلْم لا ينفع، فقد أخْرَجَه مُسلم في صحيحه من حَديث زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضي اللهُ عنه، قَالَ: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: كَانَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا**»(٣).

## الترهيبُ من طلب العلم للمُباهاة والمماراة ونيل الأغراض

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٧، ٧٠٩٨) ومُسلم (٢٩٨٩) واللفظ له.

(٢) رواه الخطيب البغدادي في "اقتضاء العلم العَمل" (٧١)، وصحّحه الألباني.

(٣) أخرجه مُسلم (٢٧٢٢).

قال جلّ ذكره: {مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ} [الشورى: ٢٠].

وقال سُبحانه وتعالى: {مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨} [الإسراء: ١٨].

وقال تبارك وتعالى: {وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥} [البينة: ١٥].

وغيرها من الآيات البيّنات الدّالات على ذَم نيْل الأغرَاض بعَمَل الآخرة.

وعن أبي هُرَيْرة رَضي اللهُ عَنْه أنّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي**

النَّارِ»[1].

وقال ﷺ: «لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارُ النَّارُ»[2].

وعَن أبي هُرَيْرة رَضي اللهُ عَنْه أنّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا يُبْتَغَى - يَعْنِي: بِهِ وَجْهَ اللَّهِ - لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعْنِي رِيحَهَا -»[3].

### من أقوال السلف فيمن ترك العَمَل بالعلم:

**قال يوسُف بن الحُسين** رحمه الله[4]: في الدنيا طغيانان: طغيانُ العلم، وطغيان المال، والذي ينجيك من طغيان العلم العبادة، والذي ينجيك من طغيان المال الزهد فيه.

**وقال أيضًا:** بالأدب تفهم العلم، وبالعلم يصح لك العمل، وبالعمل تنال الحكمة، وبالحكمة تفهم الزهد، وتوفَّق له، وبالزهد تترك الدنيا، وبترك

---

(١) أخرجه مُسلم (١٩٠٥).

(٢) صحيح: سنن ابن ماجه (٢٥٤).

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/٣٣٨) وابن حبان كما في "الموارد" (٨٩)، وصحّحه الألباني في "اقتضاء العلم العمل" (٦٥).

(٤) هو: يوسف بن الحسين بن علي، أبو يعقوب الرازيّ: زاهد صوفي أديب. كان شيخ الريّ والجبال في وقته. وفيهم من يصفه بالزندقة. وهو من أقران ذي النون المصري. قال ابن أبي يعلى: يقال إنه كان أعلم أهل زمانه بالكلام والتصوف. توفي سنة ٣٠٤هـ. انظر: الأعلام ٨/ ٢٢٧ .

الدنيا ترغب في الآخرة، وبالرغبة في الآخرة تنال رضا الله عز وجل [(١)].

**قال أبو القاسم الجُنيد** رحمه الله[(٢)]: متى أردت أن تشْرف بالعلم وتُنسب إليه، وتكون من أهله قبل أن تُعطي العلم ما له عليك احتجب عنك نوره، وبقي عليك رسْمه وظهوره، ذلك العلم عليك لا لك، وذلك أن العلم يُشير إلى استعماله، فإذا لم تستعمل العلم في مراتبه رحلت بركته[(٣)].

**قال أبو عبد الله الروذباري** رحمه الله[(٤)]: مَن خَرج إلى العلم يُريد العلم لم ينفعه العلم، ومَن خَرج إلى العلم يُريد العَمَلَ نفعه قليل العلم.

**وقال أيضًا**: العلمُ موقوفٌ على العمل، والعملُ موقوفٌ على الإخلاص،

---

(١) اقتضاء العلم العمل (٢٦، ٢٧).

(٢) هو: الجنيد بن محمد البغدادي الخزاز، أبو القاسم: صوفي، من العُلماء بالدين. مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد. عده العلماء شيخ مذهب التصوف، لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، ولكونه مصونًا من العقائد الذميمة، محميّ الأساس من شُبه الغلاة، سالما من كل ما يوجب اعتراض الشرع. من كلامه: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدي به. توفي سنة ٢٩٧ هـ. انظر: الأعلام ٢/ ١٤١ .

(٣) اقتضاء العلم العمل (٣٣).

(٤) هو: أحمد بن عطاء بن أحمد، أبو عبد الله الروذباري، الصوفي الكبير، نزيل صور، حدَّث عن أبي القاسم البغوي وجماعة، وروى عنه جماعة، وهو أحمد مشايخ وقته في بابه وطريقته. قال الخطيب: روى أحاديث غلط فيها غلطا فاحشا. توفي سنة تسع وستين وثلاث مائة .

انظر: الوافي بالوفيات للصفدي ٧/ ١٢٢ – تاريخ الإسلام للذهبي ٨/ ٢٩٩ .

والإخلاصُ لله يُورث الفهم عن الله عز وجل [1].

**قال أبو قلابة رحمه الله**: إذا أحدث الله لك علمًا فأحدث له عبادة، ولا يكن همُّك أن تُحدِّث به الناس[2].

**قال مالك بن دينار رحمه الله**: من تعلم العلم للعمل كسره علمه، ومن طلبه لغير العمل زاده فخرًا[3].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر.

(٣) الاقتضاء (٣٤).

# الباب الثاني

# ذمُ الجهل وأهله

## ذم الجهل وأهله

سبق بيان أنّ الجهلَ مذمومٌ، وأنّ الإنسان يكره أن يوصف بالجهل وإن كان من أهله، وكفى بالجهل نقصًا وعيبًا أن الله تبارك وتعالى ذمه في أكثر من موضع في القرآن، ونذكر ههنا حال أهل الجهل كما وصفهم الله تعالى.

**الجُهّالُ أضل من الأنعام:**

قال الله سبحانه: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا} [الفرقان: ٤٤].

**قال ابنُ القيم:** فلم يقتصر سبحانه على تشبيه الجهال بالأنعام حتى جعلهم أضل سبيلا منهم، وقال: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾} [الأنفال: ٢٢]. أخبر أنّ الجُهّال شر الدواب عنده على اختلاف أصنافها، من الحمير، والسباع ، والكلاب، والحشرات، وسائر الدواب، فالجُهّال شر منهم، وليس على دين الرسل أضر من الجُهّال، بل هم أعداؤهم على الحقيقة.

وقال لنبيه وقد أعاذه من الجهل: {فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [الأنعام: ٣٥].

وقال كليمه موسى عليه السلام: {أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [البقرة: ٦٧].

وقال لأول رُسله نوح عليه السلام: {إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [هود: ٤٦].

وأمر سُبحانه نبيّه ﷺ بالإعراض عنهم، فقال: {وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩} [الأعراف: ١٩٩][1].

## ثناءُ الله تعالى على عباده بالإعراض عن الجاهلين

قال سُبحانه في ثنايا ذكره لصفات عباد الرحمن وثناؤه عليهم: {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣}[الفرقان: ٦٣].

وقال جل وعلا: {وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ٥٥} [القصص: ٥٥].

## الجهلُ سبب موت القلب، والعلمُ مادة حياته

قال جلّ ذكره: {أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا} [الأنعام: ١٢٢].

**قال القاسمي** رحمه الله [2]: مثل بمن هداه الله بعد الضلالة وبصّره بنور الحجج والآيات، يتأمل بها في الأشياء؛ فيميز بين الحق والباطل، والمهتدي والضال- بمن كان ميتًا فأعطاه الحياة وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة،

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٣١).

(٢) هو العلامة الشيخ أبو الفرج محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبي بكر، المعروف بالقاسمي، نسبة إلى جده، ولد سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف في دمشق. توفي سنة ١٣٣٢ هـ بدمشق.

كان سلفي المنهج على منهج أهل السنة والجماعة والقارئ في تفسيره يرى منهج السلف ظاهرا، فهو يكثر النقل عن علماء السلف، ويورد حججهم وأدلتهم، وردودهم على شبه الخصوم. معجم المؤلفين (٣/ ١٥٧)، الأعلام (٢/ ١٣٥).

ومَن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها، ولا يتخلص فهو مُتحير على الدوام [1].

**الجهلُ عُقوبة من الله لأعدائه، والعلمُ منّة من الله لأوليائه**

قال سبحانه وتعالى {ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ} [البقرة: ٢٥٧].

وقال جل ذكره: {وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ} [الإسراء: ٤٥، ٤٦].

**قال الشنقيطي رحمه الله [2]:** بيّن جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه جعَل على قُلوب الكفّار أكنّة – جمع كنان- وهو ما يسترُ الشيء ويُغطيه ويُكنه، لئلا يفقهوا

---

(١) محاسن التأويل (٣/ ٤٣٠).

(٢) هو العلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي المدني. ولد بموريتانيا عام ١٣٢٥ هـ، عرف عنه الذكاء واللباقة والاجتهاد والهيبة. اجتهد في طلب العلم فأصبح من علماء موريتانيا، وتولى القضاء في بلده فكان موضع ثقة حكامها ومحكوميها.. وكان من أوائل المدرسين في الجامعة الإسلامية سنة ١٣٨١هـ، ثم عين عضوا في مجلس الجامعة، كما عين عضوا في مجلس التأسيس لرابطة العالم الإسلامي، وعضوا في هيئة كبار العلماء ١٣٩١/٧/٨ هـ. توفي بمكة بعد أدائه الحج سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة. وصلي عليه بالمسجد الحرام

من كتاب: "مع صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله" للعلامة عطية محمد سالم رحمه الله فالكتاب في ترجمة الشيخ .

القرآن أو كراهة أن يفقهوه لحيلولة تلك الأكنة بين قلوبهم وبين فقه القرآن، أي: فهم معانيه فهمًا ينتفع به صاحبه، وأنه جعل في آذانهم وقرًا، أي: صممًا وثقلاً لئلا يسمعوه سماع قبول وانتفاع.

وبيّن في مواضع أُخَر سبب الحيلولة بين القلوب وبين الانتفاع به، وأنه هو كفرهم، فجازاهم الله على كُفرهم بطمس البصائر وإزاغة القلوب والطبع والختم والأكنة المانعة من وصول الخير إليها(١).

## كلامٌ نفيس لابن القيم أغلى من الذهب لبيان خذلان من أعرض عن طلب العلم، وردًا على مَن يصدون الناس عن طلبه

... عدل عن الأبواب العالية الكفيلة بنهاية المراد وغاية الإحسان، فابتلي بالوقوف على الأبواب السافلة المليئة بالخيبة والحرمان، وقد لبس حُلة منسوجة من الجهل والتقليد والشبهة والعناد، فإذا بُذلت له النصيحة ودُعِي إلى الحق {أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ} [البقرة: ٢٠٦].

فما أعظم المصيبة بهذا وأمثاله على الإيمان، وما أشد الجناية به على السنة والقرآن، وما أحب جهاده بالقلب واليد واللسان إلى الرحمن، وما أثقل ذلك الجهاد في الميزان.

## الجهادُ بالحُجة والبيان مُقدّم على الجهاد بالسيف والسِّنان(٢)

**قال رحمه الله:** ولهذا أمر تعالى في السورة المكية حيث لا جهاد باليد إنذارًا

---

(١) أضواء البيان (٣/ ١٩٠).

(٢) السّنَان: أيضًا سِنَانُ الرمح، وجمعُهُ: أَسِنَّةٌ. مختار الصحاح (ص: ١٣٧).

وتعذيرًا، فقال تعالى: {فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾}[الفرقان: ٥٢].

وأمر تعالى بجهاد المنافقين والغلظة عليهم مع كونهم بين أظهر المسلمين في المقام والمسير، فقال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ} [التحريم: ٩].

فالجهاد بالعلم والحُجة جهاد أنبياء الله ورسوله، وخاصته من عباده المخصوصين بالهداية والتوفيق والاتفاق، و«**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ**»(١) وكفى بالعبد عمىً وخُذلانًا أنْ يرى عساكر الإيمان وجنود السنة والقرآن وقد لبسوا للحرب لأمته(٢) وأعدّوا له عُدَّته وأخذوا مصافَّهم ووقفوا مواقفهم ... وهو في الملجأ والمغارات والمُدَّخَل مع الخوالف ... فحقيقٌ بمن لنفسه عنده قدر وقيمة أن لا يبيعها بأبخس الأثمان، وأن لا يُعرِّضَها غدًا بين يدي الله ورسوله لموقف الخزي والهوان، وأن يثبت قدمه في صفوف أهل العلم والإيمان، وأن لا يتحيز إلى مقالة سوى ما جاء في السنة والقرآن(٣).

---

(١) أخرجه مُسلم (١٩١٠).

(٢) قال الجوهري: اللأم: جمع لأمة، وهي: الدرع. اللسان (٨/ ١١) مادة (لأم).

(٣) مُقدمة القصيدة النونية، بشرح نخبة من العلماء (١/ ٥٦، ٥٧) باختصار. وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ١٣، ١٤).

# الباب الثالث

# وجوب التمسك بالسَّنة

## وجوب التمسك بالسنة

### معنى السنة

**لغة:** الطريقة، ولو كانت غير مَرضية [١].

ومنه قول رَسُول اللهِ ﷺ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**»، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى قَالَ: «**فَمَنْ**» [٢].

**قال الخَطّابي** رحمه الله[٣]**:** أصلها الطريقة المحمودة، فإذا أطلقت انصرفت إليها، وقد تُستعمل في غيرها مقيدة كقوله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً**»[٤][٥].

---

(١) الكليات للكفوي (ص: ٤١٨) والتعريفات (ص: ١٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ومُسلم (٢٦٦٩)، واللفظ للبخاري.

(٣) هو: الإمام العلامة المفيد المحدث الرحال، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، صاحب التصانيف. ولد سنة بضع عشرة وثلاثمائة. وكان ثقة متثبتا من أوعية العلم، وقد تكلم البعض في عقيدته إلا أنه صرح بعقيدته في رسالته "الغنية عن الكلام وأهله".
وقال ابن رجب: وهذا يدل على أن ما يؤخذ من كلامه في كثير من كتبه مما يخالف ذلك ويوافق طريقة المتكلمين "فقد رجع عنه" فتح الباري (٢٣٧/٧) يعني بذلك رجوعه عن ما يخالف عقيدة السلف. تذكرة الحفاظ (١٤٩/٣)، شذرات الذهب (١٢٧/٣).

(٤) جزء من حديث طويل أخرجه مُسلم (١٠١٧) وغيره.

(٥) إرشاد الفحول للشوكاني (١٩٣/١).

**وشرعًا:** قولُ النبي ﷺ وفعله وتقريره[1]، وتُطلق بالمعنى العام على الواجب وغيره في عُرف أهل اللغة والحديث.

وأمَّا في عُرْف أهل الفقه: فإنما يُطلقونها على ما ليس بواجب، وتُطلق على ما يُقابل البدعة، كقولهم: فُلانٌ من أهل السُّنة [2]. انتهى.

### السُّنة قسمان

اعلم أنَّ السُّنة تنقسم قسمين: واجبة، ومُستحبة[3].

**أولاً: السنة الواجبة:** هي التي أمرَ بها الله ورسوله ﷺ أمر إيجاب، وهي التي يُثاب فاعلها امتثالاً لأمره ﷺ ويأثم تاركها، والأمْرُ إذا أطلق تناول النهي.

**قال شيخُ الإسلام رحمه الله[4]:** لفظ الأمر إذا أطلق تناول النهي، ومنه قوله:

---

(١) سيأتي تعريف السنة التقريرية قريبًا بإذن الله.

(٢) إرشاد الفحول (١/١٩٣).

(٣) انظر: الأصول من علم الأصول لابن العثيمين (٥٣).

(٤) هو الشيخ، الإمام، العلامة، المفتي، المفسر، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية الحراني، الحنبلي. ولد: في شعبان، سنة اثنتين وأربعين، بحران. ختم القران صغيرا ثم اشتغل بحفظ الحديث والفقه والعربية حتى برع في ذلك مع ملازمة مجالس الذكر وسماع الأحاديث، ولقد سمع غير كتاب على غير شيخ من ذوي الروايات الصحيحة العالية، أما دواوين الإسلام الكبار كمسند أحمد وصحيح البخاري ومسلم وجامع الترمذي وسنن أبي داود السجستاني والنسائي وابن ماجة والدارقطني فقد سمع كل واحد منها عدة مرات، أما غزارة علومه فمنها ذكر معرفته بعلوم القرآن المجيد واستنباطه لدقائقه ونقله لأقوال العلماء في تفسيره واستشهاده بدلائله وما أودعه الله تعالى فيه من عجائبه =

{أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ} [النساء: ٥٩]، أي أصحاب الأمر، ومن كان صاحب الأمر كان صاحب النهي، ووجبت طاعته في هذا وهذا، فالنهي داخل في الأمر. وقال موسى للخضر: {سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ۝٦٩ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا} [الكهف: ٦٩، ٧٠] وهذا نهي له عن السؤال حتى يحدث له منه ذكرًا[١]. انتهى.

**أمثلة على السنن الواجبة التي أمر بها رسول الله ﷺ والتي لم تأت في القرآن**

إعفاء اللحى- تحريم الرشوة- تحريم خطبة الرجل على خطبة أخيه- تحريم الجمع بين المرأة وخالتها وعمتها.. إلى غير ذلك.

قال جلّ ذكره: {وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ} [الحشر: ٧] وسنذكر قريبًا بإذن الله تعالى الأدلة من القرآن، على وجوب طاعة

=

وفنون حكمه وغرائب نوادره وباهر فصاحته وظاهر ملاحته، وكذلك في الفقه والأصول ولا تجد علما إلا وابن تيمية قد بلغ فيه مبلغا، ورد على الفلاسفة وأهل المنطق، وكان حربا على البدع. فطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ واعتقل بها سنة ٧٢٠ وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. توفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة.

سير أعلام النبلاء (٢٢/٢٨٨)، وفيات الأعيان (٤/٣٨٦)، الأعلام للزركلي (١/١٤٤)، الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية لأبي حفص عمر بن علي البغدادي الأزجي .

(١) مجموع الفتاوى (٧/١٧٤).

النبي ﷺ طاعة مطلقة، وإن أمر بأمر لم يأت في القرآن.

**ثانيًا: السنة المُستحبة:** هي التي يثاب فاعلها امتثالاً لأمر الله ورسوله ﷺ، ولا يعاقب تاركها، وتسمّى مندوبًا ومُستحبًا ونفلا وتطوعًا.

**قال الآمدي رحمه الله (١) في تعريف المندوب:** هو المطلوبُ فعله شرعًا، من غير ذم على تركه مُطلقًا(٢). انتهى.

قال تعالى في الحديث القُدسي: **« وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ... الحديث»**(٣).

**أما الأمثلة على السنن المستحبة التي لم تأت في القرآن:**

كالصلاة على الجنازة – صلاة الاستسقاء- صلاة الكسوف وصلاة الضحى- صوم الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر وكذا صيام داود عليه السلام صوم يوم وترك يوم - وأذكار الصلاة - وأذكار النوم- وأذكار الصباح والمساء- ودوام المكث على طهارة- واستعمال السواك.. إلى غير ذلك من السنن المستحبة في العبادات والمعاملات والتي يصعب حصْرها.

---

(١) هو: علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الآمدي: أصولي، باحث. أصله من آمد (ديار بكر). وانتقل إلى القاهرة، فدرّس فيها واشتهر. وحسده بعض الفقهاء فتعصبوا عليه ونسبوه إلى فساد القعيدة والتعطيل ومذهب الفلاسفة، فخرج لدمشق، فتوفي بها. من كتبه: الإحكام في أصول الأحكام ط، ومنتهى السول. توفي سنة ٦٣١ هـ. انظر: الأعلام ٤/ ٣٣٢.

(٢) انظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/ ١٦١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

**قال ابنُ العُثيمين رحمه الله (١):** السُّنة في لسان الشارع أعَمّ من السنة في اصطلاح الفقهاء، لأنها تشمَل الواجب والمستحب، وكذلك المسنون والمستحب معناها واحد عند عامة الفقهاء(٢) .

## فرض الله تعالى في كتابه اتباع سُنة نبيه ﷺ

اعلم أنّ السنة مستقلة بالتشريع، أي أنها كالقرآن في التشريع، فإذا جاء الأمر من النبي ﷺ أو النهي، فلا يسعُ الإنسان أنْ يتخلف عنه، فالذي أمر بطاعة النبي ﷺ طاعة مستقلة- أي وإن لم يأت الأمر في القرآن- هو الله سبحانه وستأتي أدلة ذلك، شرط صحة الحديث وثبوته عن رسول الله ﷺ، وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل العلم المعتبرين.

## بعضُ الآيات الدالة على الأمر بطاعة النبي ﷺ

قال الله تعالى: {أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ}[النساء: ٥٩].

وقال تبارك وتعالى: {وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ}[الحشر: ٧].

---

(١) هو: صالح بن عبد العزيز بن عُثيمين: فقيه. عضو المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي. صدر له كتاب بعد وفاته بعنوان: "مقاصد الإسلام". وهو مجموعة أبحاث نافعة في موضوعات متفرقة، تنتظم أبواب الشريعة في الاعتقاد والفقهيات والآداب العامة وقضايا مستجدة معاصرة. وكان ينشرها في جريدة "البلاد" منذ عام ١٣٧٨ هـ. توفي سنة ١٩٩٢ م.

انظر: تكملة مُعجم المؤلفين ٢٣٨ .

(٢) الأصول من علم الأصول (٥٤).

وقال سُبحانه: {وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ} [النساء: ١١٣]. الحكمة: السنة(١).

وقال جل ذكره: {فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣].

وقال سبحانه: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾} [النساء: ٦٥].

وقال جل وعلا: {وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ} [النور: ٥٤].

إلى غير ذلك من الآيات، وهي كثيرة جدًّا تركتُ ذكرها خشية الإطالة.

**وأما السنة:**

فعَن أَبي هُرَيْرَة رَضي الله عَنْه أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي**»(٢).

وعَن أَبي هُرَيْرَة أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»(٣).

وعن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ**

---

(١) سيأتي أقوال أهل العلم في ذلك.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٣٧) ومسلم (١٨٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ»(١). والأحاديثُ في ذلك كثيرة جدًا.

## أقوالُ أهل العلم في وجُوب اتباع السنة

**قال الأوزاعي رحمه الله(٢):** الكتابُ أحوَج إلى السنة من السنة إلى الكتاب(٣).

**قال أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله:** إذا رأيتَ الرجل يُخاصم في دين الله ويُجادل في كتاب الله، فإذا قيل له: قالَ رسُولُ الله ﷺ، قال: حسْبُنا كتاب الله، فاعلم أنه صاحب بدعة(٤).

**قال ابن بطة رحمه الله(٥):** بعد أنْ ذكر جُمْلة من الآيات الدالة على الأمر بطاعة رسول الله ﷺ في آيات أُخَر نظائر لهذه الآيات كلها، قد قرن الله – عز وجل– طاعة رسول الله ﷺ بطاعته ووصلها بفريضته، وجعل أمره كأمره، وتعقّبها

---

(١) صحيحٌ: سنن أبي داود (٤٦٠٥) وابن ماجه (١٣) وغيرهما.

(٢) هو: الإمام عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد أبو عمرو الأوزاعي، شيخ الإسلام وعالم أهل الشام، ولد سنة ثمان وثمانين بحياة الصحابة، وقيل: سنة ثمانين، أحد أئمة الدنيا فقهًا، وعلمًا، وورعًا، وحفظًا، مع زهادة فيه وكان خيرًا، وفاضلًا، مأمونًا، كثير العلم و الحديث والفقه، حجة، توفي سنة سبع وخمسين ومائة.
سير أعلام النبلاء (٧/١٠٧)، وشذرات الذهب (١/٢٣٤).

(٣) إرشاد الفحول (١/١٩٧).

(٤) الحجة في بيان المحجة (ص: ٥٢٢).

(٥) هو: الإمام عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الفقيه لكنه ذو أوهام، لحق البغوي، وابن صاعد. ومع قلة إتقان ابن بطة في الرواية كان إماما في السنة، إماما في الفقه، صاحب أحوال وإجابة دعوة رضي الله عنه. ميزان الاعتدال للإمام الذهبي (٣/١٥).

بالوعيد الشديد والزجر والتهديد لمن حاد عن أمره أو خرج عن طاعته أو وجَد في نفسه حَرجًا من قضيته أو ابتدع في سُنته[1].

**وسُئل سَهْل بن عبد الله التستري رحمه الله [2] عن شرائع الإسلام؟** فقال: قال العُلماء في ذلك وأكثروا، ولكن نجمعه كله في كلمتين: {وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ} [الحشر: ٧]، ثم نجمعه كله في كلمة واحدة: {مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ} [النساء: ٨٠] فمَن يُطع الرسول في سُنته فقد أطاع الله في فريضته[3] .

**قال الشوكاني رحمه الله[4]:** اعلم أنه قد اتفق مَن يُعتَدُّ به من أهل العلم أنَّ السنة المطهرة مُستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرم، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: **«ألا إنِّي أُوتيتُ القُرآنَ ومِثلَهُ مَعَهُ»**[5] أي:

---

(١) الإبانة (١/ ٤٢).

(٢) هو: سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أبو محمد: أحد أئمة الصوفية وعلمائهم، والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال. له كتاب في (تفسير القرآن ) مختصر، وكتاب (رقائق المحبين) . توفي سنة ٢٨٣ هـ. انظر: الأعلام ٣/ ١٤٣ .

(٣) المصدر السابق.

(٤) هو: الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، الفقيه المجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف نشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكما بها. وكان يرى تحريم التقليد. له ١١٤ مؤلفا. ومع استفادته من عقيدة السلف غير أنه في باب الأسماء والصفات كما يتضح لمن نظر في تفسيره: 'فتح القدير' يجد الرجل على طريقة المؤولة. وتوفي سنة خمسين ومائتين وألف.
البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع (٢/ ٢١٤)، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٩٨).

(٥) صحيح: تقدم تخريجه.

أوتيتُ القرآن، وأوتيتُ مثله من السنة التي لم ينطق بها القرآن، وذلك كتحريم لحوم الحُمُر الأهلية، وتحريم كل ذي ناب من السباع ومخلب الطير، وغير ذلك مما لا يأتي عليه الحصر.. ثم استدل بجملة من الآيات قال: الحاصلُ أنَّ ثبوت حُجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية لا يخالف في ذلك إلا مَن لا حَظ له في دين الإسلام(١).

**قال البربهاري رحمه الله (٢):** إذا سمعتَ الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها، فإنه رجل رديء القول والمذهب، وإنما طعن على رسول الله وأصحابه، لأنه إنما عرفنا الله وعرفنا رسول الله ثبوت ﷺ وعرفنا القرآن وعرفنا الخير والشر والدنيا والآخرة بالآثار، فإن القرآن إلى السنة أحوج من السنة إلى القرآن (٣).

**قال الشافعي رحمه الله (٤):** ففرض الله على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله،

---

(١) إرشاد الفحول (١/١٩٥-١٩٧) باختصار.

(٢) هو الحسن بن علي بن خلف أبو محمد البربهاري، شيخ الحنابلة في وقته، كان قوالا بالحق، داعية إلى الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم، وكان له صيت عند السلطان وقدم عند الأصحاب وكان أحد الأئمة العارفين والحفاظ للأصول المتقين والثقات المؤمنين، مصنفات منها: شرح كتاب السنة. وتوفي مستترا في رجب سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

طبقات الحنابلة (٢/١٨)، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٩٠).

(٣) شرح السنة للبربهاري (٨٠).

(٤) هو الإمام فقيه الملة، ناصر الحديث محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو عبد الله القرشي، ثم المطلبي، الشافعي، المكي، الغزي المولد، نسيب رسول الله ﷺ وابن عمه، فالمطلب هو أخو هاشم والد =

فقال في كتابه: {رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ} [البقرة: ١٢٩]....

وقال: {لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ} [آل عمران: ١٦٤].

وقال: {وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا}[النساء: ١١٣].

وقال: {وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا} [الأحزاب: ٣٤].

قال رحمه الله: فذكر الله الكتاب، وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعتُ مَن أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سُنة رسول الله ﷺ... لأنّ القرآن ذُكر وتبعته الحكمة، وذكر الله مَنَّه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يجز- والله أعلم- أنْ يُقال الحكمة ههنا إلا سُنة رسول الله.

وذلك أنها مقرونة مع كتابِ الله، وأنّ الله افترض طاعة رسوله، وحتّم على الناس اتباع أمره، فلا يجُوز أنْ يُقال (فرض) إلا لكتاب الله وسُنة رسوله[1].

=

عبد المطلب، صاحب المذهب، ولد سنة خمسين ومائة، كان مسلم بن خالد الزِّنجي، وهو مفتي مكة يحثه علَى الْفُتيا وهو ابن خمس عشرة سنة، توفي سنة أربع ومائتين.
سير أعلام النبلاء (١٠/٥)، تاريخ بغداد (٣٩٢).

(١) الرسالة للشافعي (١٢٥، ١٢٦) باختصار.

قال ابنُ كثير رحمه الله: في تفسير قوله تعالى: {وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ} [الأحزاب: ٣٤] أي: واعملن بما يُنزِّل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ في بيوتكن من الكتاب والسُّنة، قاله قتادة وغير واحد(١).

وعن ابن مَسْعُود رَضي الله عَنْه: قالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ وَالمُوتَشِمَاتِ، وَالمُتَنَمِّصَاتِ وَالمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ» فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ، فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَقَالَ: وَمَا لِي أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ، قَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، أَمَا قَرَأْتِ: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: ٧]؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ، قَالَتْ: فَإِنِّي أَرَى أَهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ، قَالَ: فَاذْهَبِي فَانْظُرِي، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ، فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئًا، فَقَالَ: لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَا جَامَعْتُهَا(٢).

قال ابنُ القيِّم رحمه الله في شرحه لقول الله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا} [النساء: ٥٩]: وقد أجمع الناسُ على أنّ الردّ إلى الله إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته، وإلى سنته بعد مماته... وتأمّل قوله: {أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٨٦) ومسلم (٢١٢٥).

ٱلرَّسُولَ ﴾ كيف أعاد الفعل وهو طاعة الرسول ليدل أنه يُطاع استقلالاً، وإنْ أمر بما ليس في القرآن الأمر به، ونهى عما ليس في القرآن النهي عنه؛ فإنه أوتي الكتاب ومثله معه(١).

## السنة وحي من الله تعالى والقول من عند النبي ﷺ

**معنى الوحي:** إلقاءُ المعنى في النفس في خفاء، ولا يجوز أنْ تُطلق الصفة بالوحي إلا لنبي، ذكره الحرالي (٢).

**قال الراغبُ الأصفهاني رحمه الله(٣):** أصلُ الوحي الإشارة السريعة، ولتضمُّن السرعة قيل: أمرٌ وحيٌ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وقد حُمل على ذلك قوله تعالى عن زكريا: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]... ويقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه: وحي ... وذلك إما برسول مشاهَد تُرى ذاته ويُسمع كلامه، كتبليغ جبريل عليه السلام للنبي ﷺ في صورة معينة، وإما بسماع كلام من غير معاينة، كسماع موسى كلام الله، وإما بإلقاء في الروع، كما ذكر عليه الصلاة والسلام:

---

(١) بدائع التفسير (٢/ ٢٤). وانظر: الاعتصام للشاطبي (١/ ٢٨١) والشريعة للآجري (ص٤١) وأصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ٣٥) والاعتقاد للبيهقي (ص:٢٦٨).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي (ص: ٣٣٥).

(٣) هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من كتبه: محاضرات الأدباء، والذريعة إلى مكارم الشريعة، والمفردات في غريب القرآن. توفي سنة ٥٠٢ هـ. انظر: الأعلام ٢/ ٢٥٥.

«**إن روح القدس نفث في روعي**»[1]، وإما بإلهام نحو: {وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ} [القصص: ٧]، وإما بتسخير، نحو قوله: {وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ} [النحل: ٦٨][2]. انتهى.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) المفردات للراغب الأصفهاني (٥٧٠، ٥٧١) مادة (وحي).

**الخُلاصة:**

أنّ الله تعالى أوحي إلى النبي ﷺ السنة، إما بوحي باطن، أي بإلقاء المعنى في نفسه ﷺ في خفاء، ويكون القول من النبي ﷺ، وإما برسالة أنْ أفعل كذا ولا تفعل كذا، والقول من النبي أيضًا عن طريق جبريل، وقد دلت السنة على ذلك.

قال السيوطي رحمه الله[1]: واحتج مَن ذهب إلى أنه لم يسن إلا بأمر الله، إما بوحي ينزل عليه فيُتلى على الناس، أو برسالةٍ ثابتة عن الله أنْ افعل كذا، بقوله ﷺ فيما رواه الشيخان في قصة الزاني: «**لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ**»[2] ثم قضى

---

(١) هو: الإمام الحافظ عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن خضر بن نجم الدين أيوب بن محمد بن همام الدين الهمام الخضيري الأسيوطي، وترجع نسبته إلى أسيوط لاستقرار أجداده بها، وكان أبوه من العلماء الصالحين ذوي المكانة وتولى الوصاية عليه بعد وفاة والده الكمال بن الهمام الحنفي، وهو من كبار فقهاء عصره، أخذ السيوطي العلم عن خيرة علماء عصره، وأخذ من كل فنّ، وبرز في جميع الفنون، وفاق الأقران، وهو صوفي درس التصوف وانطبعت به نفسه، دافع عن التصوف طيلة حياته، وألف فيه عديدا من الكتب والرسائل وولي مشيخته، وأراد أن يطبق الجانب العملي للتصوف فتجرد للعبادة، والاعتكاف، والانقطاع إلى الله، والتأليف عندما بلغ سن الأربعين وصنف التصانيف المفيدة النافعة؛ فقد استفاد بمصنفاته من عاصره، ومن جاء بعده إلى عصرنا الحاضر، وتوفي سنة أحد عشر وتسعمائة.

حسن المحاضرة للسيوطي نفسه ترجمة رقم (٧٧)، الأعلام للزركلي (٣/٣٠١)، جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره للدكتور طاهر سليمان حمودة (١/١١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٣٣، ٦٨٣٥، ٦٨٤٢) ومُسلم (٢٥/ ١٦٩٧) من حديث أبي =

بالجلد والتغريب، وليس التغريبُ في القرآن.

وبما أخْرَجه الشيخان عَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجِعْرَانَةِ، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ، وَهُوَ مُتَضَمِّخٌ بِطِيبٍ، فَسَكَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاعَةً، فَجَاءَهُ الوَحْيُ، فَأَشَارَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى يَعْلَى، فَجَاءَ يَعْلَى وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَوْبٌ قَدْ أُظِلَّ بِهِ، فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْمَرُّ الوَجْهِ، وَهُوَ يَغِطُّ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَقَالَ: **«أَيْنَ الَّذِي سَأَلَ عَنِ العُمْرَةِ؟»** فَأُتِيَ بِرَجُلٍ، فَقَالَ: **«اغْسِلِ الطِّيبَ الَّذِي بِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَانْزِعْ عَنْكَ الجُبَّةَ، وَاصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِي حَجَّتِكَ»** قُلْتُ لِعَطَاءٍ: أَرَادَ الإِنْقَاءَ حِينَ أَمَرَهُ أَنْ يَغْسِلَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ؟ قَالَ: **«نَعَمْ»**(١).

ثم أخرج البيهقي بسنده عن طاوس: «**أَنَّ عِنْدَهُ كِتَابًا مِنَ الْعُقُولِ**(٢) **نَزَلَ بِهِ الْوَحْيُ، وَمَا فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ صَدَقَةٍ وَعُقُولٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِهِ الْوَحْيُ**»(٣).

---

= هُريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما.

(١) أخرجه البخاري (١٥٣٦) ومسلم (١١٨٠).

(٢) العقول: جمعه عقل، وهي: الدية.

(٣) أخرجه الشافعي في المسند (١/ ٢٦٤)، ومن طريقه أخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار (١/ ١٠٢/ برقم ١٨). وفيه مسلم بن خالد عن ابن جُريج عن ابن طاوس عن أبيه به .

وهذا حديثٌ إسناده ضعيف، مُسلم بن خالد، ضعّفه أبو داود وابن المديني والنسائي، وقال البخاري: مُنكر الحديث. (تهذيب الكمال ٢٧/ ٥٠٨ وما بعدها). وابن جُريج =

وأخرج بسَنَده عَن حَسّان بن عَطِيَّة، قال: «**كَانَ جِبْرِيلُ – عليه السَّلام – يَنْزِلُ عَلَى رَسُول اللهِ ﷺ بِالسُّنَّةِ، كَمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ، وَيُعَلِّمُهُ إِيَّاهَا كَمَا يُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ**»[١] أخرجه الدارمي.

وعَن الْمُطَّلِبِ بْنِ حَنْطَبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَا تَرَكْتُ شَيْئًا مِمَّا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَمَا تَرَكْتُ شَيْئًا مِمَّا نَهَاكُمُ اللَّهُ عَنْهُ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ قَدْ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ**»[٢][٣].

**قال الخَطّابي رحمه الله[٤]:** قوله: «**أوتيتُ الكتاب ومثله معه**»[١] يحتمل وجهين

---

= يُدلس ويُرسل.

(١) حديثٌ مُرسَل: سُنن الدارمي (٦٠٨)، والمراسيل لأبي داود (٥٣٦).

(٢) أخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار (٢٠) وفي الشعب (١١٤١) من طريق عبد العزيز الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب. وإسناده ضعيف لضعف عبد العزيز الدراوردي، قال أحمد: إذا حدّث من حفظه جاء بالبواطيل. (انظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٦٣٤).

(٣) مفتاح الجنة (ص: ١٥٦-١٥٨).

(٤) هو: الإمام العلامة المفيد المحدث الرحال، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، صاحب التصانيف. ولد سنة بضع عشرة وثلاثمائة. وكان ثقة متثبتا من أوعية العلم، وقد تكلم البعض في عقيدته إلا أنه صرح بعقيدته في رسالته "الغنية عن الكلام وأهله". وقال ابن رجب: وهذا يدل على أن ما يؤخذ من كلامه في كثير من كتبه مما يخالف ذلك ويوافق طريقة المتكلمين "فقد رجع عنه" فتح الباري (٧/٢٣٧) يعني بذلك رجوعه عن ما يخالف عقيدة السلف.

تذكرة الحفاظ (٣/١٤٩)، شذرات الذهب (٣/١٢٧).

من التأويل:-

**أحدهما:** أنّ معناه: أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلوّ مثل ما أعطى من الظاهر المتلوّ.

**والثاني:** أنه أوتي الكتاب وحيًا يتلى، وأوتي من البيان مثله، أي أذن له أن يبين ما في الكتاب، فيعم ويخص ويزيد عليه ويشرع ما في الكتاب، فيكون وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلوّ من القرآن.

وقوله: « يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ... الحديث» يحذر بهذا القول من مخالفة السنن التي سنّها مما ليس له في القرآن ذكر، على ما ذهبت إليه الخوارج والروافض[2]، فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التي قد ضُمِّنت بيان الكتاب [3].

**وقال الأوزاعي** رحمه الله: أن حسان بن عطية قال: كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل القرآن عليه يُعلمه إياها كما يعلمه القرآن[4].

### عصمة النبي ﷺ في التبليغ عن الله تعالى

قدَّمنا الأدلة على أنَّ النبي ﷺ لا يتكلمُ إلا بوحي من الله، فإذا كان الأمرُ

=

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) الروافض: من الفرق الضالة- وسيأتي تفصيل عقائدهم في باب: عقائد الفرق الضالة.

(٣) مقدمة الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٥٤).

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١/ ١٤٦) والدارمي (٥٨٨) والمروزي في السنة (١٠٤).

كذلك فعصمته ﷺ ثابتة بأدلة الكتاب والسنة.

قال جلّ ذكره: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝}. [النجم: ٣، ٤].

**قال الطبري رحمه الله[1]:** يُوحي الله تبارك وتعالى إلى جبريل، ويُوحي جبريل إلى محمد ﷺ[2].

وقال جلّ وعلا: {مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ}[النساء: ٨٠].

**قال السَّعدي رحمه الله[3]:** أي كل مَن أطاع رسول الله ﷺ في أوامره ونواهيه

---

(١) هو الإمام الجليل المجتهد المطلق أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، من أهل آمل طبرستان، ومولده سنة أربع أو خمس وعشرين ومائتين.
كان ابن جرير أحد الأئمة يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه؛ جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظا لكتاب الله، بصيرا بالمعاني فقيها في أحكام القرآن عالما بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها عارفا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام عارفا بأيام الناس وأخبارهم، توفي سنة عشر وثلاثمائة، ودفن في داره ببغداد.
طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٢٩/٣)، تاريخ دمشق (١٨٨/٥٢).

(٢) جامع البيان (٥٦/١٣).

(٣) هو: العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد، أبو عبد الله السعدي.
ولد في بلدة عنيزة في عام سبع وثلاثمائة من الهجرة النبوية، وكان والده واعظا وإماما، اشتغل بالعلم منذ صغره، ففاق الأقران، وكانت له عناية كبيرة بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وكتب أخرى في التفسير والحديث والتوحيد، والفقه والأصول. من قرأ كتبه عرف فضله وعلمه وعنايته بالدليل فرحمه الله رحمة واسعة، توفي رحمه الله سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف.
=

(فقد أطاع الله تعالى) ، لكونه لا يأمر ولا ينهي إلا بأمر الله وشرعه ووحيه وتنزيله، وفي هذا عصمة النبي ﷺ؛ لأنّ الله أمر بطاعته مُطلقًا، فلولا أنه معصوم في كل ما يبلغ عن الله لم يأمر بطاعته مُطلقًا، ويمدح على ذلك(١).

## الوجــوه الثلاثة للسنة

للسنة ثلاثة أوجه ذكرها الشافعي باختصار(٢)، ونذكرها ههنا بشيء من التفصيل:-

**الوجه الأول:** ما أنزل الله فيه نصًا في القرآن، فسَنَّ رسولُ الله ﷺ بمثل نص القرآن.

**مثال ذلك:** أمر الله تعالى بعبادته وحْده، وأمر بالصدق وبر الوالدين، ونهى سبحانه عن الكذب والسرقة والزنا إلى غير ذلك، وقد جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ تأمر وتنهي عن هذه الأشياء بمثل نص القرآن.

**الوجه الثاني:** ما سنَّ رسول الله ﷺ مما ليس فيه نص من القرآن.

**مثال ذلك:** أمر رسول الله ﷺ بالأذان، وأمر بالصلاة على الجنازة وصلاة الاستسقاء وصلاة الكسوف، وأمر بإعفاء اللحى، ونهى عن سفر المرأة بغير محرم، ونهى عن الوصل والوشم والتفليج للحُسْن(٣)، ونهى عن الرشوة إلى

---

= الأعلام (٣/ ٣٤٠)، مشاهير علماء نجد للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبدالله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ص:٢٥٦).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٨٩).

(٢) انظر: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة (١٥٤).

(٣) تقدّم من حديث ابن مسعود.

غير ذلك مما ليس فيه نص كتاب ونحن نطيع أمره ﷺ في كل ما أمر أو نهى عنه بأمر من الله تعالى، فقد قال جلّ ذكره: {وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ} [الحشر: ٧].

وقد تقدّم بيان معنى الآية.

**الوجه الثالث:** ما جاء مُجملاً في القرآن، وبيّن لنا رسولُ الله ﷺ كيفية القيام به.

قال تبارك وتعالى: {وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤}[النحل: ٤٤].

**قال القرطبي** رحمه الله: {وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ} يعني القرآن {لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ} [النحل: ٤٤] في هذا الكتاب من الأحكام والوعد والوعيد بقولك وفعلك، فالرسول ﷺ مُبَيِّنٌ عن الله عز وجل مُراده مما أجمله في كتابه من أحكام الصلاة والزكاة وغير ذلك مما لم يُفصله(١).

**وقال مُحمد بن نصر المَرْوَزي** رحمه الله(٢): وجَدتُ أصول الفرائض كلها لا يُعرف تفسيرها، ولا تُنكر تأديتها، ولا العمل بها إلا بترجمة من النبي ﷺ وتفسير منه، من ذلك: الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، قال عز وجل:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٠/١١٤).

(٢) هو: محمد بن نصر المروزي، أبو عبد الله: إمام في الفقه والحديث. كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة فمن بعدهم في الأحكام. ولد ببغداد. ونشأ بنيسابور، وتوفي بسمرقند. له كتب كثيرة، منها (القسامة) في الفقه، والمسند في الحديث. توفي سنة ٢٩٤ هـ. انظر: الأعلام ٧/ ١٢٥.

{إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا } [النساء: ١٠٣] فأجمل فرضها في كتابه ولم يفسرها، ولم يخبر بعددها وأوقاتها، فجعل رسول الله ﷺ هو المفسر لها، والمبيّن عن خُصوصها وعُمومها وعددها وأوقاتها وحُدودها، وأخبر النبي ﷺ أنّ الصلاة التي افترضها الله هي خمس صلوات في اليوم والليلة في الأوقات التي بيّنها وحدّدها، فجعل صلاة الغداة ركعتين، والظهر والعصر والعشاء أربعًا، والمغرب ثلاثًا، وأخبر على أنها على العُقلاء البالغين من الأحرار والعبيد، ذكورهم وإناثهم إلا الحُيَّض فإنه لا صلاة عليهن، وفرق بين صلاة الحضر والسفر، وفسَّر عدد الركوع والسجود والقراءة وما يعمل فيها.

وكذا فسّر النبي ﷺ الزكاة بسُنته، فأخبر أنّ الزكاة إنما تجب في بعض الأموال دون بعض على الأوقات والحدود التي حَدّها وبيّنها.

وكذا الصيام، قال الله تبارك وتعالى: {كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ } [البقرة: ١٨٣] فجعل ﷺ فرض الصيام على البالغين من الأحرار والعبيد، ذكورهم وإناثهم إلا الحُيَّض، فإنهن رُفع عنهن الصيام، فسوّى بين الصيام والصلاة في رفعها عن الحائض، وفرق بينهما في القضاء...(١). انتهى.

وكذا في أكثر العبادات والمعاملات والآداب، جاءت مجملة في كتاب الله وبيّنها على وجه التفصيل رسول الله ﷺ.

**ذم التقليد، إلا في مسائل الاجتهاد التي لا دليل فيها يُرجَع إليه من**

---

(١) كتاب السنة (ص: ٧٧، ٧٨) باختصار. وانظر: الشريعة للآجري (٤١) ، وإعلام الموقعين لابن القيم (٥٢٩/٢) والإبانة لابن بطة (٤٣/١-٤٥)

كتاب ولا سُنة:

وهذا مجمَعٌ عليه من أهل العلم، فلا يجوزُ لأحَد طاعة العُلماء أو الأمراء في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله، فمن ظهر له الدليل من الكتاب أو السنة فلا حُجة له في التقليد.

قال ابنُ عبد البر رحمه الله: قد ذم الله تبارك وتعالى التقليد في غير موضع من كتابه، فقال: {ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ} [التوبة: ٣١].

وقال عَدِيُّ بْنِ حَاتِمٍ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ. فَقَالَ: «**يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الوَثَنَ**»، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} [التوبة: ٣١]، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ**»(١).

وقال عزّ وجل: {وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ} [الزخرف: ٢٣، ٢٤] فمنعهم الاقتداء بآبائهم من قبول الاهتداء، فقالوا: {إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾} [سبأ: ٣٤].

قال أبو عُمر بعد ذكر هذه الآيات وغيرها: وقد احتج العُلماءُ بهذه الآيات في إبطال التقليد، ولم يمنعهم كفر أولئك من جهة الاحتجاج بها، لأنّ التشبيه لم

(١) صحيحٌ: سنن الترمذي (٣٠٩٥) والطبري في تفسيره (١٠/٨٠) والبيهقي (١٠/١١٦). وصحّحه الألباني في التعليق على "المشكاة" (١/٨٩).

يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر، وإنما وقع التشبيه بين التقليدين بغير حُجة للمُقلد[1].

قَالَ ابنُ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «يُوشِكُ أَنْ تَنْزِل عَلَيْكُمْ حِجَارَة مِن السَّمَاءِ. أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»[2].

وفي رواية أحمد: «أُرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ أَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَقُولُ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»[3].

**قال عبدُ الرحمن آل الشيخ:** وهذا القول من ابن عباس رضي الله عنهما جواب لمن قال له: إنّ أبا بكر وعُمر رضي الله عنهما لا يريان التمتع بالعمرة إلى الحج، ويريان أنّ إفراد الحج أفضل، أو ما هو معنى هذا، وكان ابن عباس يرى أنّ التمتع بالعُمرة إلى الحج واجب[4]...

وللبُخاري ومُسْلم وغيرهما: أنّ النبي ﷺ قَالَ: «**لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقِ الْهَدْيَ، فَحِلُّوا**» فَحَلَلْنَا وَسَمِعْنَا وَأَطَعْنَا[5].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٣٨٧، ٣٨٩) باختصار.

(٢) انظر: فتح المجيد (ص: ٤٢٠) وجامع بيان العلم (٢٣٧٨) والطبراني في الأوسط (١٧١٨) والسيوطي في مُفتاح الجنة (ص: ٢٢٤).

(٣) رواه أحمد في المسند (٣١٢١).

(٤) إيجابُ المتعة هو قول طائفة من أهل الحديث والظاهرية، كابن حَزم وغيره، وهو مذهبُ الشيعة أيضًا، لكن الجماهير من الصحابة والأئمة الأربعة وغيرهم على أنه يجوز التمتع والإفراد والقران. مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٦/٥١).

(٥) الحديث أخرجه البخاري (٧٣٦٧) ومسلم (١٢١٦).

وانظر: إيقاظ همم أولى الأبصار للفلاني (٥) ومناقب الشافعي للبيهقي (١/٤٧١).

**وبالجُملة:** فلهذا قال ابنُ عبّاس- لما عارضوا الحديث برأي أبي بكر وعمر يوشك أن تنزل عليهم حجارة من السماء... الحديث، وفي كلام ابن عباس رضي الله عنهما ما يدل على أنّ مَن بلغه الدليل فلم يأخُذ به تقليدًا لإمامه- فإنه يجب الإنكار عليه بالتغليظ لمخالفة الدليل... وساق أقوال الأئمة الأربعة فقال:

**قال الشافعي رحمه الله:** أجمع العُلماءُ على أنّ مَن استبانت له سُنة رسول الله ﷺ لم يكن له أنْ يدَعَها لقول أحَد.

**وقال الربيعُ رحمه الله[1]:** سمعتُ الشافعي يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سُنة رسول الله ﷺ فخذوا سُنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت. وقال: إذا صحّ الحديث بما يخلف قولي، فاضربوا بقولي الحائط[2].

**وقال مالك رحمه الله[3]:** كل أحَد يُؤخَذ من قوله ويُترك إلا رسولُ الله ﷺ[4].

---

(١) هو: الربيع بن أنس البكري، ويقال الحنفي، البصري ثم الخراساني، من صغار التابعين، قال ابن حجر: صدوق له أوهام، ورُمي بالتشيع. توفي سنة ١٤٠هـ أو قبلها. تهذيب الكمال (٩/ ٦٠)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٢٦١).

(٢) انظر: إيقاظ همم أولى الأبصار للفلاني (٥) ومناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤٧١).

(٣) هو: شيخ الإسلام، حجة الأمة، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية. ولد على الأصح: في سنة ثلاث وتسعين، وتوفي: صبيحة أربع عشرة من ربيع الأول، سنة تسع وسبعين ومائة. سير أعلام النبلاء (٨/٤٨)، الأعلام (٥/٢٥٧).

(٤) انظر: المصدر السابق.

**وقال أبو حنيفة رحمه الله[1]:** إذا قلتُ قولا وكتاب الله يخالفه، فاتركوا قولي لكتاب الله، قيل: إذا كان قول رسول الله ﷺ يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لخبر رسول الله ﷺ. وقيل: إذا كان قول الصحابة يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لقول الصحابة[2].

**قال الإمامُ أحمد رحمه الله[3]:** عجبتُ لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سُفيان، والله تعالى يقول: {فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله

---

(١) هو: النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة: إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة. ولد ونشأ بالكوفة. وكان يبيع الخز. أراده المنصور العباسي على القضاء ببغداد، فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل، فحبسه إلى أن مات. وكان قويّ الحجة، من أحسن الناس منطقا. وكان كريما في أخلاقه، جوادا. وعن الإمام الشافعيّ: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة. له: مسند في الحديث، جمعه تلاميذه، وتنسب إليه رسالة " الفقه الأكبر - ط " ولم تصح النسبة. توفي ببغداد سنة ١٥٠ هـ . انظر: الأعلام ٨/ ٣٦ .

(٢) انظر: فتح المجيد (٤٢٦).

(٣) هو الإمام حقًّا وشيخ الإسلام صدقا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي أحد الأئمة الأعلام، وكان إمام المحدثين، صنف كتابه المسند، وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره، وقيل: إنه كان يحفظ ألف ألف حديث، قال الشافعي: خرجت من العراق، فما تركت رجلا أفضل ولا أعلم ولا أورع ولا أتقى من أحمد بن حنبل. ولد في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة توفي سنة إحدى وأربعين ومائتين.

الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٣٥٤)، وفيات الأعيان (١/ ٦٣)، تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٤٣١).

إذا ردّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك...

وعن الفضيل: عن أحمد: نظرتُ في المصحف، فوجدتُ طاعة رسول الله ص في ثلاث وثلاثين موضعًا، ثم جعل يتلو: { فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ....} الآية [النور، ٦٣].

**قال عبد الرحمن آل الشيخ:** فقول الإمام أحمد رحمه الله: عجبتُ لقوم عرفوا الإسناد وصحته ... إلى آخره، إنكارٌ منه لذلك، وأنه يؤول إلى زيغ القلوب، الذي يكون به المرء كافرًا، وقد عمّت البلوى بهذا المنكر، وخُصوصًا ممن ينتسب إلى العلم، نصبوا الحبائل في الصدّ عن الأخْذ بالكتاب والسنة، وصدّوا الناس عن مُتابعة النبي ﷺ وتعظيم أمره ونهيه.

فمن ذلك قولهم: لا يَستدل بالكتاب والسنة إلا المجتهد، والاجتهاد فقد انقطع، ويقول: هذا الذي قلدته أعلم منك بالحديث وبناسخه ومنسوخه، ونحو ذلك من الأقوال التي غايتها ترك متابعة الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، والاعتماد على قول من يجوز عليه الخطأ، وغيره من الأئمة يخالفه، ويمنع قوله بدليل، وما من إمام إلا والذي معه بعض العلم لا كُله.

فالواجبُ على كل مُكلف إذا بلغه الدليل من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وفهم معنى ذلك: أن ينتهي إليه ويعمل به، وإنْ خالفه من خالفه، كما قال تعالى: {ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ } [الأعراف: ٣] وقد تقدم حكاية الإجماع على ذلك وبيان أن الملق ليس من أهل العلم.

وقد حَكي أيضًا أبو عُمر ابن عبد البر وغيره الإجماع على ذلك(١).

قال ابنُ القيم رحمه الله: في معرض شرحه لقول الله {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الحجرات: ١].

أي: لا تقولوا حتى يقول، ولا تأمروا حتى يأمر، ولا تفتوا حتى يفتي، ولا تقطعوا أمرًا حتى يكون هو الذي يحكم فيه ويمضيه.

وقال تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} [الحجرات: ٢] فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سببًا لحبوط أعمالهم، فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياستهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه؟ أليس هذا أولى أن يكون محبطًا لأعمالهم؟(٢).

## حفظ القرآن يتضمن حفظ السنة

قدمنا الأدلة على أن الله تعالى فرض طاعة النبي ﷺ في القرآن، وأن الأمر أو النهي إذا جاء في السنة وجب العمل به كأنه جاء في القرآن، لأنّ السنة المصدر الثاني في التشريع يعني في العدد لا الترتيب، وذكرنا الأدلة على ذلك، وعلى أنّ السنة تبيّن لنا ما أُجمل في كتاب الله، ومن ثمَّ كان حفظ الكتاب يتضمن- ولا بُد- حفظ السنة، فلو لم تحفظ السنة ما تم الانتفاع بالقرآن ولضاع الدِّين. قال جلّ ذكره: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ} [الحجر: ٩]. فحفظ القرآن يتضمن حفظ السنة بدلالة اللزوم.

(١) فتح المجيد (٤٢١-٤٢٦) باختصار وتصرف.

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٤٩).

## فائدة جليلة

اعلم أنّ كتاب الله وسنة نبيه ﷺ يمتازان عن سواهما من الكتب بمزية هامة جدًّا، ألا وهي أنهما محفوظان في الصدور فضلاً عن السطور.

**فأما القرآن:** فلا يكاد يوجَد كتاب على وجه الأرض منذ أنْ خَلق الله الأرضَ إلى يومنا هذا يستطيع صبي عُمره سبع سنوات أنْ يحفظه عن ظهر قلب، وهذا من إعجاز القرآن، فضلا عن عشرات الألوف من الحفظة في كل زمان ومكان.

**وأما السنة:** تجد أيضًا الصبي الصغير يحفظ كتابًا كاملاً من كتب الحديث وربما حفظ أكثر من كتاب، فضلاً عن علماء الأمة في كل زمان ومكان تجدهم يحفظون الكتب الستة ومسند الإمام أحمد إلى غير ذلك، أليس هذا من حفظ الله تعالى لدينه؟ فلله الحمد والمنة[1].

(١) جزء من هذه الفائدة مُستفادة من: مقدمة مُفتاح الجنة للسيوطي- بتحقيق عبد الرحمن فاخوري.

# الباب الرابع

# ذم البدعة

**البدعة لغة:**

**قال الراغب:** الإبداع: إنشاءُ صنعة بلا احتذاء ولا اقتداء.. وإذا استعمل في الله تعالى، فهو: إيجادُ الشيء بغير آلة، ولا مادة ولا زمان ولا مكان، وليس ذلك إلا لله، والبديع يُقال للمُبدع، نحو قوله: {بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [البقرة: ١١٧]، وقوله تعالى: {قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ} [الأحقاف: ٩] قيل: معناه، مُبدعًا لم يتقدمني رسول، وقيل: مُبدعًا فيما أقوله[١].

**قال الكفوي رحمه الله [٢]:** كل عَمَل عُمِل على غير مثال سبق فهو بدعة [٣].

**شرعًا:** البدعة في الدّين هي: ما لم يشرعه الله ورسوله، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب، ولا استحباب، قاله شيخ الإسلام [٤].

**قال الأصفهاني رحمه الله:** البدعة في المذهب: إيرادُ قول لم يستنَّ قائلها وفاعلها فيه بصاحب الشريعة، وأمثالها المتقدمة وأصولها المتقنة، ورُوي: «**كُلُّ**

---

(١) المفردات في غريب القرآن (٤٣).

(٢) هو: أَبُو البَقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي: صاحب (الكليّات - ط)، كان من قضاة الأحناف. عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد. وعاد إلى استانبول فتوفي بها، ودفن في تربة خالد. وله كتب أخرى بالتركية. توفي سنة ١٠٩٤ هـ. انظر: الأعلام ٢/ ٣٨ .

(٣) الكليات (١٨٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ١٠٨).

مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»[١][٢].

## ذم البدع، وسُوء مُنقلب أهلها، وذكر الأدلة من القرآن والسَّنة

البدعُ مذمومة عَقلاً وشَرعًا، فالعَقلُ الصريح يعلم أنه من المحال أنْ يُدْرك ما يصلح العباد إلا ربّ العباد، فكيف ينزل نفسه منزلة المضاهي لله جلّ في عُلاه؟ وهو سُبحانه المنفرد بالتشريع، وقد وبّخ الكفار حيث شرعوا للناس ما ليس من الدين، قال تبارك وتعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ ٱللَّهُ} [الشورى: ٢١].

قال ابنُ تيمية رحمه الله: فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله، أو أوجبه بقوله أو بفعله من غير أن يشرعه الله، فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، ومن اتبعه في ذلك، فقد اتخذ شريكًا لله شرع في الدين ما لم يأذن به الله[٣].

قال الشاطبي رحمه الله [٤] في معرض كلامه عن ذم البدع: الشريعة جاءت

---

(١) صحيح: سنن أبي داود (٤٦٠٧)، ومُسند أحمد (١٢٧/٤)، وابن ماجه (٤٢) كلهم من طريق العرباض بن سارية، كلها بدون زيادة « وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ».
وأخرجه مسلم (٤٣-٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله بنحوه، وبدون زيادة « وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ».

(٢) المفردات (٤٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١٩٥/٤).

(٤) هو: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي. أصولي حافظ. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية. من كتبه: الموافقات في أصول الفقه، والاتفاق في علم الاشتقاق، وأصول النحو، والاعتصام في أصول الفقه. توفي سنة ٧٩٠ هـ. انظر: الأعلام ١/ ٧٥.

كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان؛ لأنّ الله تعالى قال فيها: {ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا} [المائدة: ٣].

وفي حديث الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **«أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ...»** [١] الحديث.

وثبت أنّ النبي ﷺ لم يمُت حتى أتى ببيان جميع ما يُحتاج إليه في أمر الدين والدنيا، وهذا لا مخالفَ له من أهل السنة.

فإذا كان كذلك: فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقاله: إنّ الشريعة لم تتم وإنه بقي منها أشياء يجب أو يُستحبُّ استدراكها؛ لأنه لو كان مُعتقدًا لكمالها وتمامها من كل وجه لم يبتدع ولم يستدرك عليها، وقال: هذا ضال عن الصراط المستقيم.

قال ابنُ الماجشون: سمعتُ مالكًا يقول: «مَن ابتدع في الإسلام بدعة يراها حَسَنة فقد زعم أنّ محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ لأنّ الله يقول: {ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ} فما لم يكن يومئذ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا».

(١) صحيحٌ: سنن أبي داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٤) وغيرهم.

## المُبتدعُ معاند للشرع ومُشاق له

لأنّ الشارع قد عيَّن لمطالب العبد طُرقًا خاصة على وجوه خاصة، وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي، والوعد والوعيد، وأخبر أنّ الخير فيها، وأن الشر في تعديلها... إلى غير ذلك، لأنّ الله يعلم ونحن لا نعلم، وأنه إنما أرسل الرسول ﷺ رحمة للعالمين، فالمبتدع رادٌّ لهذا كله.

فإنه يزعم أنّ ثمَّة طرقًا أُخَر ليس ما حصره الشارع بمحصور، ولا ما عيَّنه بمتعيَّن، كأن الشارع يعلم ونحن أيضًا نعلم، بل وربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع أنه علم ما لم يعلمه الشارع، وهذا إن كان مقصودًا للمبتدع، فهو كفر بالشريعة والشارع، وإن كان غير مقصود، فهو ضلال مبين.

## المُبتدع قد نزَّل نفسه منزلة المُضاهي للشارع

لأنّ الشارع وضع الشرائع، وألزم الخلق الجري على سننها، وصار هو المنفرد بذلك، لأنه حكم بين الخلق فيما كانوا فيه يختلفون، وإلا فلو كان التشريع من مدركات الخلق لم تنزل الشرائع، ولم يبق الخلاف بين الناس، ولا احتيج إلى بعث الرسل عليهم السلام.

هذا الذي ابتدع في دين الله قد صيَّر نفسه نظيرًا ومضاهيًا للشارع ، حيث شرع مع الشارع وفتح للاختلاف بابًا، وردّ قصد الشارع في الانفراد بالتشريع، وكفى بذلك.

## المُبتدع مُتبع لهواه

... لأنّ العقل إذا لم يكن مُتبعًا للشرع، لم يبق إلا الهوى والشهوة، وأنت تعلم ما في اتباع الهوى، وأنه ضلال مبين. ألا ترى قول الله تعالى: {يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا

جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ} [ص: ٢٦] فحصر الحكم في أمرين لا ثالث لهما عنده، وهو الحق والهوى، وعزل العقل مجردًا؛ إذ لم يمكن في العادة إلا ذلك.

وقال: {وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ} [الكهف: ٢٨] فجعل الأمر محصورًا بين أمرين: اتباع الذكر، واتباع الهوى.

وقال: {وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ} [القصص: ٥٠]. وهي مثل ما قبلها.

وتأملوا هذه الآية، فإنها صريحة في أن من لم يتبع هدى الله في هوى نفسه فلا أحد أضل منه، وهذا شأن المبتدع، فإنه اتبع هواه بغير هدي من الله، وهدى الله هو القرآن..

والمبتدع قدَّم هوى نفسه على هدى ربه، فكان أضل الناس، وهو يظن أنه على هُدى[1]. انتهى.

وعن عَائِشَةَ رَضِي اللهُ عَنْهَا قالت: تلا رَسُولُ اللهِ ﷺ: {هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧} [آل عمران: ٧] قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا**

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ٦٣-٦٨) باختصار وتصرف يسير.

رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»(١).

**قال أبو جعفر الطبري** ؒ: القول في تأويل قوله تعالى: {فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ} يعني بذلك جلّ ثناؤه: فأما الذين في قلوبهم ميلٌ عن الحق وانحراف عنه (٢).

**قال القرطبي** ؒ: وهذه الآية تعُمّ كل طائفةٍ، من كافر وزنديق وجاهل وصاحب بدعة(٣).

وقال جلّ ذكره: {وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣].

**قال القاسمي** ؒ(٤): {وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ} يعني الأديان المختلفة أو طرق البدع والضلالات {فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ} أي: فتفرقكم عن صراطه المستقيم، وهو دين الإسلام الذي ارتضاه لعباده.

روى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: « خَطَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٧) ومسلم (٢٦٦٥).

(٢) تفسير الطبري (٣/٢٤٠).

(٣) تفسير القرطبي (٧/١٧).

(٤) هو العلامة الشيخ أبو الفرج محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبي بكر، المعروف بالقاسمي، نسبة إلى جده، ولد سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف في دمشق. توفي سنة ١٣٣٢ هـ بدمشق.

كان سلفي المنهج على منهج أهل السنة والجماعة والقارئ في تفسيره يرى منهج السلف ظاهرا، فهو يكثر النقل عن علماء السلف، ويورد حججهم وأدلتهم، وردودهم على شبه الخصوم. معجم المؤلفين (٣/١٥٧)، الأعلام (٢/١٣٥).

رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: " **هَذَا سَبِيلُ اللهِ مُسْتَقِيمًا** "، قَالَ: ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: " **هَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ** " ثُمَّ قَرَأَ: {وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ} [**الأنعام:١٥٣**]»(١)(٢).

**قال الشاطبي** رحمه الله: فالصراط المستقيم هو سبيلُ الله الذي دعا إليه، وهو السنة، والسُّبُل هي سُبُلُ أهل الاختلاف الحاقدين عن الصراط المستقيم، وهم أهل البدع، ليس المراد سُبُل المعاصي، لأنّ المعاصي من حيث هي مَعاص لم يضعها أحَد طريقًا تُسلك دائمًا على مُضاهاة التشريع، وإنما هذا وصفٌ خاص بالبدع المحدثات (٣).

**قال مجاهد** رحمه الله: {وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ} قال: البدع والشبهات(٤).

قال الله تعالى: {يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ} [آل عمران: ١٠٦].

قال ابنُ عبّاس رضي الله عنهما: تبيض وجوه أهل السنة، وتسودّ وجوه أهل البدعة(٥).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٣٥) والطيالسي (٢٤٤) وابن أبي عاصم في السنة (١٧) وابن حبان (٧) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٩٤) وغيرهم.

(٢) محاسن التأويل (٣/ ٤٦٧).

(٣) الاعتصام (١/ ٧٦).

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٣/ ٦٣).

(٥) الاعتصام (١/ ٧٧).

قال ابنُ كثير رحمه الله: يعني: يوم القيامة حين تبيضّ وجُوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة[1].

## الأدلة من السنة على ذم البدع وأهلها

عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[2].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: أنّ رسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يقُولُ في خُطْبته: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[3].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[4].

وفي رواية مُسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[5].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٧).

(٢) صحيح. تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) أخرجه مسلم (٨٦٧).

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨).

(٥) أخرجه مسلم (١٨-١٧١٨).

**قال ابنُ رجب** رحمه الله[1]: وهذا الحديثُ أصلٌ عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها كما أن حديث: «الأعمال بالنيات» ميزان للأعمال في باطنها، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء.

وقوله: «لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا» إشارة إلى أن أعمال العاملين حملهم ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة، وتكون أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها، فمن كان عمله خارجًا تحت أحكام الشرع، موافقًا لها فهو مقبولٌ، ومَن كان خارجًا عن ذلك فهو مردود[2].

**قال النووي** رحمه الله: وهذا الحديثُ قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات[3]. انتهى.

وعَنِ المُغِيرَةِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«**أَنَا فَرَطُكُمْ[4] عَلَى الحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجَالٌ مِنْكُمْ، ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي، فَأَقُولُ:**

---

(١) هو: الإمام الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن حسن بن رجب البغدادي ثم الدمشقي المعروف بابن رجب الحنبلي. أكثر الاشتغال حتى مهر وصنف شرح الترمذي وشرح علل الترمذي وشرح قطعة من البخاري، وطبقات الحنابلة، مات في رجب سنة خمس وتسعين وسبعمائة بدمشق.

ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (٢/ ٧٢)، طبقات الحفاظ للسيوطي (٥٤٠).

(٢) جامع العلوم والحكم (١٢٤، ١٢٥) باختصار.

(٣) مُسلم بشرح النووي (٦/ ٢٥٧).

(٤) فرطكم على الحَوض: سابقكم إليه، كالمهيئ له. مُسلم بشرح النووي (٨/ ٦٨).

يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»[1].

وفي رواية: «إِنِّي عَلَى الحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، فَوَاللهِ لَيُقْتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ، فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»[2].

**قال القاضي** رحمه الله[3]: هذا دليلٌ لصحة تأويل مَن تأوّل أنهم أهل الردة، ولهذا قال فيهم: سُحقًا سُحقًا، ولا يقولُ ذلك في مُذنبي الأمة، بل يشفع لهم، ويهتم لأمرهم، قال: وقيل: هؤلاء صنفان:-

**أحدهما:** عُصاة مُرتدون عن الاستقامة، لا عن الإسلام، وهؤلاء مُبدلون الأعمال الصالحة بالسيئة.

**والثاني:** مُرتدون إلى الكفر حقيقة، ناكصون على أعقابهم، واسم التبديل يشمل الصنفين[4]. انتهى.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٦) واللفظ له، ومُسلم (٢٩-٢٢٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٩٣) ومسلم (٢٨-٢٢٩٤).

(٣) هو: الإمام، العلامة، الحافظ الأوحد، شيخ الإسلام، القاضي، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي، الأندلسي، ثم السبتي، المالكي. ولد: في سنة ست وسبعين وأربعمائة.

استبحر من العلوم، وجمع، وألف، وسارت بتصانيفه الركبان، واشتهر اسمه في الآفاق جلس القاضي للمناظرة وله نحو من ثمان وعشرين سنة، وولي القضاء وله خمس وثلاثون سنة، كان هينا من غير ضعف، توفي في سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

سير أعلام النبلاء (٢٠/٢١٢)، وفيات الأعيان (٣/٤٨٣).

(٤) مُسلم بشرح النووي (٨/٧٣).

والأحاديثُ في هذا الباب كثيرة تركتُ ذكرها خشية الإطالة.

## البدعة التَّركيَّة

البدعةُ في الدِّين قد تكونُ بالفِعل، أي بعَمل لم يشرعه الله ورسوله ﷺ كما سبق بيان ذلك، وقد تكونُ بترك شيء قد يكون مُباحًا أو حلالاً فيُحرمه العبد على نفسه تعبدًا لله، فهذه هي البدعة التَّركية.

**قال الشاطبي رحمه الله:** البدعة من حيث قيل فيها: «إنها طريقة في الدين مخترعة...» إلى آخره، يدخُل في عُموم لفظها البدعة التركية، كما يدخل فيه البدعة غير التركية.

فقد يقع الابتداع بنفس الترك تحريمًا للمتروك أو غير تحريم فإن الفعل -مثلاً- قد يكون حلالاً بالشرع، فيُحَرمه الإنسانُ على نفسه أو يقصد تركه قصدًا. فهذا التركُ إما أنْ يكون لأمر يُعتبر مثله شرعًا أو لا.

فإن كان الأمرُ يُعتبر: فلا حرج فيه؛ إذ معناه أنه ترك ما يجوز تركه أو يطلب بتركه، كالذي يحرم على نفسه الطعام الفلاني من جهة أنه يضره، في جسمه أو عقله أو دينه، وما أشبه ذلك.

وأصله قوله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ...» إلى أنْ قال: «وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ»[1] الذي يكسر شهوة الشباب، حتى لا تطغى عليه الشهوة، فيصير إلى العنت.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/١١٩- الفتح) ومسلم (٩/١٧٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وكذلك إذا ترك ما لا بأس به حذرًا به البأس، فذلك من أوصاف المتقين، وهو كتارك المتشابه حذرًا من الوقوع في الحرام، واستبراءً للدين والعرض.

وإنْ كان التركُ لغير ذلك: فإما أنْ يكون تدنيًا أو لا:

فإنْ لم يكن تديُّنًا: فالتاركُ عابثٌ بتحريمه الفعل أو بعزيمته على الترك، ولا يُسمّى هذا الترك بدعة... إلا على الطريقة القائلة: إنَّ البدعة تدخُل في العبادات، وأما الأولى فلا يدخُل، لكن هذا التارك يصير عاصيًا بتركه، أو باعتقاده التحريم فيما أحل الله.

وأما إنْ كان التركُ تديُّنًا: فهو الابتداعُ في الدِّين على كلتا الطريقتين، إذ قد فرضنا الفعل جائزًا شرعًا، فصار القولُ المقصود مُعارَضة للشارع في شرع التحليل.

وفي مثله نزل قول الله تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ} [المائدة: ٨٧].

فنهى أولاً عن تحريم الحلال، ثم جاءت الآية تُشعر بأنّ ذلك اعتداء، وأنّ مَن اعتدى لا يحبه الله ... لأنّ بعض الصحابة همَّ أن يحرم على نفسه النوم بالليل، وآخر الأكل بالنهار، وآخر إتيان النساء، وبعضهم هم بالاختصاء، مبالغة في ترك شأن النساء، وفي أمثال ذلك قال النبي ﷺ: «**مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١).

إنّ كل مَن منع نفسه من تناول ما أحلّ الله من غير عُذر شرعي، فهو خارجٌ عن سُنة النبي ﷺ، والعاملُ بغير السنة تدينًا هو المبتدعُ بعينه.

**فإنْ قيل: فتارك المطلوبات الشرعية ندبًا أو وجوبًا هل يُسمّى مبتدعًا أم لا؟**

**فالجوابُ:** أنّ التارك للمطلوبات على ضربين:-

**أحدهما:** أنْ يتركها لغير التديُّن، إما كسلاً أو تضييعًا، أو ما أشبه ذلك من الدواعي النفسية، فهذا الضرب راجع إلى المخالفة للأمر، فإنْ كان في واجب: فمعصية، وإن كان في ندب، فليس بمعصية إذا كان الترك جُزئيًّا، وإن كان كليًّا حسبما تبيَّن في الأصول.

**والثاني:** أنْ يتركها تديُّنًا، فهذا الضرب من قبيل البدع، حيث تدين بضد ما شرع الله، ومثاله أهل الإباحة القائلين بإسقاط التكليف إذا بلغ السالك عندهم المبلغ الذي حُدوه[1].

**قال الحافظ ابن رجب ﵀ في معرض كلامه عن البدعة:** فمَن تقرب إلى الله بعمل لم يجعله الله ورسوله قربة إلى الله، فعَمَله باطلٌ مردودٌ عليه.. إلى أنْ قال: وليس ما كان قُربة في عبادة يكون قُربة في غيرها مُطلقًا، فقد رأى النَّبيُّ ﷺ رجلاً قائمًا في الشمس فسأل عنه، فقيل: إنه نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلاَ يَقْعُدَ، وَلاَ يَسْتَظِلَّ، وأَنْ يَصُومَ، فأمره النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَقْعُدْ وَيَسْتَظِلّ، وأَنْ يُتِمَّ صَوْمَهُ[2]، فلم يجعل قيامه وبروزه للشمس قربة يوفى بنذرهما... مع أنّ القيامَ عبادة في مواضع أُخَر،

---

(١) الاعتصام (١/٥٧-٦٠) باختصار.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٠٤).

كالصلاة والآذان والدعاء بعَرفة، والبروز للشمس قُربة للمُحرم[1]، فدَّل على أنه ليس كل ما كان قُربة في موطن يكون قربة في كل المواطن، وإنما يتبع في ذلك ما وردت به الشريعة في مواضعها، وكذلك من تقرب بعبادة نُهى عنها بخصوصها كمَن صام يوم العيد، أو صلى في وقت النهي[2].

### البدعة قسمان: بدعة مُكفرة، وبدعة غير مُكفرة

تقدّم قول رسول الله ﷺ: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» فالبدع كلها مذمومة ومردودة على صاحبها، وكلها ضلال بنص حديث رسول الله ﷺ إلا أنّ خطرها يتفاوت، فمنها التي يَكفر صاحبها وتُخرجه من الملة، ومنها مَن يفسق صاحبها ويضل- كما سبق بيانه- ولكن لا يخرج من دائرة الإسلام.

**قال حافظ ابن حكمي** رحمه الله[3]: البدعةُ بحسب إخلالها بالدِّين قسمان: مُكفرة لمنتحلها، وغير مُكفرة.

### أولاً: البدعة المُكفرة:

قال: فضابط البدعة المكفرة، مَن أنكر أمرًا مجمعًا عليه مُتواترًا من الشرع

(١) هذا يحتاجُ إلى دليل من الكتاب أو السنة.

(٢) جامع العلوم والحكم (ص: ١٢٥، ١٢٦).

(٣) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي: من علماء جيزان بين الحجاز واليمن. ونشأ بدويًّا يرعى الغنم ثم قرأ القرآن. ولما بلغ السادسة عشرة بدأ بطلب العلم، ثم تفرغ للدراسة فظهر فضله، عين مديرا للمعهد العلمي حتى توفي بمكة. من رسائله المطبوعة: (الجوهرة الفريدة في العقيدة) و(سلم الوصول إلى علم الأصول) أرجوزة، و (معارج القبول) شرح لها، و (أعلام السنة المنشورة) وتوفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة وعمره خمسة وثلاثون عاما.

معلومًا من الدين بالضرورة، من جُحود مفروض، أو فرض ما لم يفرض، أو إحلال محرم، أو تحريم حلال، أو اعتقاد ما ينزه الله ورسوله وكتابه عنه من نفي أو إثبات، لأن ذلك تكذيب بالكتاب وبما أرسل رسوله ﷺ كبدعة الجهْمية في إنكار صفات الله عز وجل والقول بخلق القرآن، أو خلق أي صفة من صفات الله عز وجل، وإنكار أنْ يكون الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً وكلم موسى تكليمًا وغير ذلك.

وكبدعة القدَرَية في إنكار علم الله وأفعاله وقضائه وقدَره.

وكبدعة المجسمة الذين يشبهون الله بخلقه.

ولكن هؤلاء منهم على علم أنّ عين قصده هدم قواعد الدين وتشكيك أهله فيه، فهذا مقطوع بكفره، بل هو أجنبي عن الدين من أعدى عدوٍّ له.

وآخرون مغرورون مُلبَّس عليهم، فهؤلاء إنما يحكم بكفرهم بعد إقامة الحُجة عليهم وإلزامهم بها.

### ثانيًا: البدعة غير المُكفرة:

قال ؒ: البدعُ التي ليست مُكفرة: وهي ما لم يلزم منه تكذيبٌ بالكتاب ولا بشيء مما أرسل الله به رسله، كبدع المروانية التي أنكرها عليهم فضلاء الصحابة ولم يقروهم عليها، ولم يكفروهم بشيء منها، ولم ينزعوا يدًا من بيعتهم لأجلها، كتأخيرهم بعض الصلوات إلى آخر أوقاتها، وتقديمهم الخُطبة قبل صلاة العيد، وجُلوسهم في نفس الخطبة في الجمعة وغيرها، وسبّهم كبار الصحابة على المنابر، ونحو ذلك مما لم يكن منهم اعتقادًا على شرعيته، بل بنوع

من تأويل وشهوات نفسانية، وأغراض دُنيوية[1]. انتهى.

والبدعُ الغير المكفرة كثيرة جدًّا، وسأذكر جُملة منها قريبًا بإذن الله تعالى.

## خطأ من قسَّم البدعة إلى حسنة وسيئة

احتج من قسّم البدعة إلى حسنة وسيئة بقول عمر رضي الله عنه: «**نِعْمَ الْبِدْعَةُ هَذِهِ**»[2].

قالوا: البدع تنقسم إلى قسمين: بدعة حسنة، بدعة سيئة؛ لقول عمر رضي الله عنه.

**الرد:** قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[3] وهذا نص عام، يشمل كل بدعةٌ في الدين؛ لأنّ «كل» من ألفاظ العموم كما هو معلوم، وبناء على ذلك لا يجوز أن يُستثنى من البدع شيء.

وأما قول عمر رضي الله عنه: «**نِعْمَ الْبِدْعَةُ هَذِهِ**» فهو محمولٌ على المعنى اللغوي للبدعة لا المعنى الشرعي لها- الذي هو: طريقة مخترعة في الدين بقصد التقرب إلى الله- لأن عمر رضي الله عنه علم أن النبي ﷺ قال: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» ومن المحال أنْ يختلف عُمر رضي الله عنه على رسُول الله ﷺ ويقول: إنّ البدعة نعمة، إلا أنه كان يقصد المعنى اللغوي، وهذا ظاهر.

**ودليلُ ذلك:** أنَّ هذا الذي فعله عُمر رضي الله عنه من جمعه للناس على

---

(١) معارج القبول (٢/١٢٢٨-١٢٢٩).

(٢) جُزء من حديث أخرجه البخاري (٢٠١٠) ومُسلم (٤٦١).

(٣) صحيح: تقدّم تخريجه.

أُبي بن كعب رضي الله عنه ليصلوا التراويح في جماعة مشروع، لأنَّ النبي ﷺ صلى بالناس التراويح ثلاث ليال، فلما كانت الرابعة ترك صلاة التراويح جماعة؛ خشية أنْ تفرض عليهم، كما قال ﷺ: **«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ، لَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ، فَتَعْجِزُوا...»**(١).

وبالتالي فالذي فعله عُمَر رضي الله عنه فعله النبي ﷺ قبل ذلك وتركه لعلة زالت بموته ﷺ فلا دليل في ذلك على أنّ من البدع ما هو حسَن، بل كما قال ﷺ: **«كل بدعة ضلالة»**(٢).

**قال ابنُ رجب رحمه الله:** فقوله ﷺ: **«كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»** من جوامع الكلم، لا يخرج عنه شيء، وهو أصلٌ عظيم من أصول الدين، وهو شبيه بقوله: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»** (٣) فكُل مَن أحدث شيئًا ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة، والدّين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال، أو الأقوال الظاهرة والباطنة.

وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع، فإنما ذلك البدع اللغوية لا الشرعية، فمن ذلك: قول عُمر رضي الله عنه لما جمع الناس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد، وخرج ورآهم يصلون كذلك، فقال: **«نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ»**، ورُوي عنه أنه قال: **«إِنْ كَانَتْ هَذِهِ بِدْعَةٌ فَنِعْمَتِ الْبِدْعَةُ»**(٤). ورُويَ أنَّ أُبي بن كَعْب قَالَ لَهُ: **«إِنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ»**، فقال عُمَر: **«قَدْ**

---

(١) أخرجه البخاري (٩٢٤).

(٢) صحيح: تقدّم تخريجه.

(٣) صحيح: تقدّم تخريجه.

(٤) صحيح: تقدم تخريجه.

عَلِمْتُ، وَلَكِنَّهُ حَسَنٌ».

**ومُراده:** أنّ هذا الفعل لم يكن على هذا الوجْه قبل هذا الوقت، ولكن له أصول من الشريعة يرجع إليها، فمنها أنّ النبي ﷺ كان يحثُّ على قيام رمضان، ويُرغِّب فيه، وكان الناسُ في زمنه يقومون في المسجد جماعاتٍ مُتفرقة ووحدانًا، وهو ﷺ صلّى بأصحابه في رمضان غير ليلة، ثم امتنع من ذلك مُعللاً بأنه خشي أنْ يُكتب عليهم فيعجزوا عن القيام به(١)، وهذا قد أُمن بعده ﷺ، ورُوي عنه «**أنه كان يقوم بأصحابه ليالي الأفراد في العشر الأواخر**»(٢)(٣).

**قال الشافعي رحمه الله:** البدعةُ المذمومة: ما ليس لها أصلٌ من الشريعة يُرجَع إليه، وهي البدعةُ في إطلاق الشرع.

وأما البدعةُ المحمودة: فما وافق السنة، يعني: ما كان لها أصلٌ من السنة يُرجع إليه، وإنما هي بدعةٌ لغة لا شرعًا؛ لموافقتها السنة(٤).

## الفرقُ بين تقرير النبي ﷺ وبين البدعة

تقريرُ النبي ﷺ: هو ما فعله الصحابي، أو قاله في عَهد النبي ﷺ وعَلم به، فيكون كلام الصحابي في حُكم الحديث المرفوع؛ لأنّ النبي ﷺ أقر على ذلك وقت نزول الوحي، ومعنى ذلك أنّ الله تعالى أقر النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، وليس لأحد أنْ يحتج بذلك لإدخال ما ليس من الدّين.

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) صحيح: سنن أبي داود (١٣٧٥) والترمذي (٨٠٦) والنسائي (٣/ ٢٠٢).

(٣) جامع العلوم والحكم (٤٦٦، ٤٦٧).

(٤) المصدر السابق.

**مثالُ التقرير:** قوله ﷺ للجارية: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «**مَنْ أَنَا؟**» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»(١).

فيقال: هذا حديثٌ مرفوع، لأنَّ النبي ﷺ أقرها على ما قالته.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، رَضي اللهُ عَنه: «أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَوْا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ فَلَمْ يَقْرُوهُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ لُدِغَ سَيِّدُ أُولَئِكَ، فَقَالُوا: هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ؟ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَمْ تَقْرُونَا، وَلاَ نَفْعَلُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنَ الشَّاءِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأُمِّ القُرْآنِ، وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتْفِلُ، فَبَرَأَ، فَأَتَوْا بِالشَّاءِ، فَقَالُوا: لاَ نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ وَقَالَ: «**وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ، خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ**»(٢).

والراقي هو أبو سعيد الخدري- كما صرّح بذلك النووي (٣)- وقد أقرّه النبي ﷺ على الرقي بفاتحة الكتاب.

**قال الشوكاني** رحمه الله **في مَعرض كلامه عن التقرير:** وصورته أنْ يسكت النبي ﷺ عن إنكار قول قيل بين يديه، أو في عصره وعلم به، أو يسكت عن إنكار فعل فُعِل بين يديه، أو في عصره وعلم به، فإنّ ذلك يدل على الجواز، وذلك كأكل الضب بحضرته(٤).

---

(١) أخرجه مُسلم (٥٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٣٦) ومسلم (٢٢٠١).

(٣) انظر: شرح مسلم للنووي (٧/٤٤٥).

(٤) انظر: البخاري (٢٥٧٥) ومسلم (١٩٤٧).

ومما يندرج تحت التقرير: إذا قال الصحابي: كنا نفعل كذا أو كانوا يفعلون كذا، وأضافه إلى عصر رسول الله ﷺ وكان مما لا يخفى مثله عليه، وإن كان مما يخفى مثله عليه، فلا[١].

**الفرقُ بين البدعة والمصلحة المرسلة:**

لا بُد أنْ نُفرق بين المصلحة المرسلة أو الاستصلاح، وبين البدعة فالبدعة هي: ما كان له مقتضى على عهد رسول الله ﷺ ولم يفعله، لقول الله تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} [مريم: ٦٤].

**أما المصلحة المرسلة:** هي ما لم يكن لها مُقتضى على عهد رسول الله ﷺ وفي فعلها مصلحة للدين.

**قال الشنقيطي رحمه الله[٢]:** معنى الاستصلاح: أن لا يشهد الشرع لاعتبار تلك المصلحة بدليل خاص، ولا لإلغائها بدليل خاص، وهذا بعينه هو

---

(١) إرشاد الفحول (١/٢٦٦، ٢٢٧) باختصار.

(٢) هو العلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي المدني. ولد بموريتانيا عام ١٣٢٥ هـ، عرف عنه الذكاء واللباقة والاجتهاد والهيبة. اجتهد في طلب العلم فأصبح من علماء موريتانيا، وتولى القضاء في بلده فكان موضع ثقة حكامها ومحكوميها.. وكان من أوائل المدرسين في الجامعة الإسلامية سنة ١٣٨١هـ، ثم عين عضوا في مجلس الجامعة، كما عين عضوا في مجلس التأسيس لرابطة العالم الإسلامي، وعضوا في هيئة كبار العلماء ١٣٩١/٧/٨ هـ. توفي بمكة بعد أدائه الحج سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة. وصلي عليه بالمسجد الحرام

من كتاب: "مع صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله" للعلامة عطية محمد سالم رحمه الله فالكتاب في ترجمة الشيخ .

الاستصلاح، ويُسمّى المرسل، والمصلحة المرسلة، وسُمّي مَصلحة لاشتماله على المصلحة، وسُميت مُرسلة: لعدم التنصيص على اعتبارها ولا على إلغائها...

واعلم أنّ المصالح من حيث هي ثلاثة أقسام:-

**الأول: مصلحة دَرء المفاسد:**

وهي المعروفة بالضروريات، وهي ستة؛ لأنّ درءَ المفاسد إما عن الدِّين، أو النفس، أو العقل، أو النسب، أو المال، أو العرض (١).

ومن فُروع دَرء المفاسد: نصب الأئمة، ووجوب قتل المرتد، وعُقوبة المضل صيانة للدين، وتحريم القتل ووجوب القصاص فيه صيانة للأنفس، وتحريم الخمر ووجوب الجلد فيها صيانة للعقول، وتحريم الزنا ووجوب الحد فيه صيانة للنسب، وتحريم السرقة ووجوب القطع فيها صيانة للمال، وتحريم القذف ووجوب الحد فيه صيانة للأعراض.

**الثاني: مصلحة جَلب المصالح:**

وتسمى الحاجيات: ومنها تسليط الولي على عقد نكاح الصغيرة تحصيل الكفء خوفًا من فواته، ومن فروعها: المساقاة والكرى في العقود.

**الثالث: التحسينات**

وتُسمّى التتميمات: وهي الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، ومن فروعها خصال الفطرة، كإعفاء اللحى وقص الشارب، ومنها تحريم

---

(١) وهذه هي مقاصد الشريعة. انظر: الموافقات للشاطبي (١/ ٣١).

المستقذرات، ووجوب الإنفاق على الأقارب الفقراء، كالآباء والأبناء.

واعلم أنّ مالكًا يُراعي المصلحة المرسلة في الحاجيات والضروريات، كما قرره علماء مذهبه... ودليلُ مالك على مُراعاتها: إجماعُ الصحابة عليها، كتولية أبي بكر لعمر، واتخاذ عمر سجنًا، وكتبه أسماء الجند في ديوان، وإحداث عثمان لأذان آخر في الجمعة، وأمثال ذلك كثيرة جدًّا [١]. انتهى.

## ذكر أمثلة على المصلحة المرسلة:

هذه الأمثلة يتبين منها الفرق بين البدعة والمصلحة المرسلة:-

### ١- جمع الصحابة رضي الله عنهم للقرآن:

إذا تأملنا ما قاله الشيخ في تعريف المصلحة المرسلة، نجد أن جمع القرآن فيه النوع الأول والثاني من المصالح، ففي جمعه دفع المفاسد عن الدين وجلب المصالح.

**فأما جلبُ المصالح:** فيتمثل في حفظ القرآن من الضياع، لأنه لو ظل في صدور الصحابة وعلى عُسُب النخل، ورقاع الجلود والحجارة كما كان على عهد النبي ﷺ لضاع القرآن بموت الصحابة الكرام، وتفرق المصادر التي كانت وسيلة لحفظه حينئذ، فهل توجد مصلحة في الدين أعظم من حفظ كتاب الله؟

**وأما درءُ المفاسد:** فمن المعلوم أن القرآن نزل على سبعة أحرف [٢]، ومع

---

(١) مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر (١٦٦، ١٦٧).

(٢) عن ابْنَ عَبَّاسٍ أنّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ». أخرجه البخاري (٤٩٩١) ومُسلم (٨١٩).

انتشار الإسلام واتساع الفتوحات الإسلامية، اختلف الناس في القراءة بحسب اختلاف الصحف التي في أيدي الصحابة، فأمر عثمان أن تُجمع هذه الصحف في مصحف واحد؛ لئلا يختلف الناس (١)، فدفع بذلك أعظم المفاسد، ألا وهي فتنة الاختلاف بين المسلمين وتنازعهم في كتاب الله.

**قال ابنُ القيم ﵀ في معرض كلامه عن الشرائع الكلية والسياسات الجزئية التابعة للمصالح:** ومن ذلك: جمع عثمان رضي الله عنه الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة التي أطلق لهم رسول الله ﷺ القراءة بها لما كان ذلك مصلحة، فلما خاف الصحابة رضي الله عنهم على الأمة أنْ يختلفوا في القرآن، ورأوا أنّ جمعهم على حرف واحد أسلم، وأبعد من وقوع الاختلاف فعلوا ذلك، ومنعوا الناس من القراءة بغيرها، وهذا كما لو كان للناس عدة طرق إلى البيت، وكان سلوكهم في تلك الطرق يوقعهم في التفرق والتشتت، ويُطمع فيهم العدو، فرأى الإمام جمعهم على طريق واحد، وترك بقية الطرق، جاز ذلك، ولم يكن فيه إبطال لكون تلك الطرق مُوصلة إلى المقصود، وإن كان فيه نهي عن سلوكها لمصلحة الأمة(٢).

**قال ابنُ العُثيمين ﵀:** وأما الغَرضُ من جمعه في عَهد عُثمان رضي الله عنه فهو تقييدُ القرآن كله مجموعًا في مصحف واحد، يحمل الناس على الاجتماع عليه، وقد ظهرت نتائج هذا الجمع، حيث حصلت به المصلحة العظمى للمسلمين من اجتماع الأمة واتفاق الكلمة وحُلول الألفة ... وهذه هي الجَمْعَة

(١) انظر: صحيح البخاري (٤٩٨٧)، باب: فضائل الصحابة.
(٢) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية (١/ ٤٧، ٤٨).

الثالثة[1] التي أجمع المسلمون عليها، وبقيت إلى يومنا هذا، والحمدُ لله، محفوظة بحفظ الله [2]. انتهى كلام الشيخ.

اعلم أنّ الصحابة أفضل البشر بعد الأنبياء، وقد أثنى الله تعالى عليهم في كتابه في أكثر من موضع، وأمرنا سُبحانه وتعالى باتباع سَبيلهم، وحثنا نبينا ﷺ بالتمسك بسنتهم والعَضّ عليها كما قدّمنا من حديث العرباض بن سارية وغيره، فلا يجوزُ لأحَد أنْ يُنزل نفسه منزلة الصحابة مهما كانت مكانته، لأنهم خيرُ الناس وخير القرون رضي الله عنهم جميعًا.

قال تعالى: {وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾} [النساء: ١١٥].

قال ابنُ تيمية في معرض كلامه عن أهل البدع: {وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} قال العلماء: مَن لم يكن مُتبعًا سبيلهم كان مُتبعًا غير سبيلهم، فاستدلوا بذلك على أنّ اتباع سبيلهم واجب، فليس لأحد أنْ يخرج عما أجمعوا

(١) المرحلة الأولى: على عهد النبي ﷺ وكان محفوظًا في الصدور أكثر من السطور. المرحلة الثانية: وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه في السنة الثانية عشرة من الهجرة، وسببه أنه قتل في وقعة اليمامة عدد كبير من القراء، فأمر أبو بكر بجمعه لئلا يضيع.
المرحلة الثالثة: في عهد عثمان رضي الله عنه في السنة الخامسة و العشرين، وسببه كما تقدم اختلاف الناس في القراءة بحسب الصحف التي في أيديهم فجمع الصحف في مصحف واحد لئلا يختلف الناس ويتنازعوا في كتاب الله. أصول في التفسير لابن عثيمين (٧٥-٧٧) باختصار.

(٢) المصدر السابق.

عليه[1].

قال ابنُ رجب رحمه الله: أنه ﷺ أمر باتباع سُنة خُلفائه الراشدين...

ومن ذلك: أذان الجمعة الأول، زاده عثمان لحاجة الناس إليه، وأقره عليٌّ، واستمر عمل المسلمين عليه، وروي عن ابن عُمر أنه قال: « **هُوَ بِدْعَةٌ** »، ولعله أراد ما أراده أبوه في قيام رمضان[2].

ومن ذلك: جمع المصحف في كتاب واحد، توقف فيه زيد بن ثابت، وقال لأبي بكر وعمر: كيف تفعلان ما لم يفعله النبي ﷺ؟ ثم علم أنه مصلحة فوافق على جَمعه، وقد كان النبي ﷺ يأمر بكتابة الوحي، ولا فرق بين أن يكتب مفرقًا أو مجموعًا، بل جمعه صار أصلح.

وكذلك: جمع عثمان الأمة على مصحفٍ واحد، وإعدامه لما خالفه، خشية تفرُّق الأمة، واستحسنه عليٌّ وأكثر الصحابة، وكان ذلك عين المصلحة.

وكذلك: قتال من منع الزكاة، توقف فيه عمر وغيره، حتى بيَّن له أبو بكر أصله الذي يرجع إليه من الشريعة، فوافقه الناس على ذلك[3].

**٢- تسوية الصفوف في الصلاة:**

من الأهمية بمكان الإشارة إلى قاعدة أصولية هامة، وهي: ما لم يتم الواجبُ إلا به فهو واجب[4].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧٢/٧).

(٢) يقصد بدعة بالمعنى اللغوي، لا الشرعي، كما سبق بيانه.

(٣) جامع العلوم والحكم (٤٦٧).

(٤) انظر: المستصفى من علم الأصول للغزالي (١٣٨/١).

**مثال ذلك:** تسوية الصفوف في صلاة الجماعة واجب [1]، ومع كثرة أعداد المصلين لا يمكن تحقيق ذلك إلا بوضع علامة على الأرض، كرسم خط مثلا[2]، فهل هذا من البدع؟ لا، بل إذا كانت تسوية الصفوف لا تتم إلا بوضع علامة أو خَط، أصبح ذلك واجبًا عملاً بالقاعدة الأصولية التي ذكرناها آنفًا.

والمصالحُ المرسلة كثيرة جدًّا وليست من البدع في شيء، ومن أمثلة ذلك ما ذكرنا، ومنها: الكتب التي صنفت في أصول الفقه، وفي الفقه، وفي علم مصطلح الحديث... إلى غير ذلك وكلها مُستقاة من الشرع، فلا حُجّة لأحَد للابتداع في دِين الله تعالى، بحُجة أنها مصلحة مُرسلة.

## كيف نتجنب الوقوع في البدع؟

قال الله تعالى: {وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣].

تقدّم كلام أهل العلم في معنى الآية، أنّ الصراط المستقيم هو سبيلُ الله الذي دعا إليه وهو السنة، والسُّبل هي سُبل أهل الاختلاف الحائدين عن الصراط المستقيم، وهم أهل البدع، ليس المراد سُبل المعاصي، لأنّ المعاصي من حيث هي معاصٍ لم يضعها أحد طرقًا تُسلك دائمًا على مُضاهاة التشريع، وإنما هذا الوصف خاص بالبدع والمحدَثات[3].

---

(١) قال رسولُ الله ﷺ: «سووا صفوفكم، فإنّ تسوية الصفوف من تمام الصلاة». أخرجه البخاري (٧٢٣) ومسلم (٤٣٣).

(٢) هذا المثال ذكره الشيخ العثيمين في شرح أصول في التفسير (ص: ٨٠).

(٣) راجع: الاعتصام (١/٧٦) وحلية الأولياء (٣/٦٣) ترجمة مجاهد.

ومن ثمَّ لا يمكنُ حَصْر أنواع البدع، ولكن إذا عَرف الإنسانُ الحق- وهو ما جاء في كتابِ الله وسُنة نبيه ﷺ- استطاع تجنب الوقوع في البدع.

فاعلم أنّ أي عبادة لا تُقبَلُ إلا بشرطين: الإخلاصُ لله وحده، واتباع نبيه ﷺ.

## كيف نُحقق الاتباع؟

بأنْ نعلم أصل العبادة ووصفها، فأي عبادة لها أصل، ولها وصف.

**المقصودُ بالأصل:** أن أي عَمل يتقرب به العبد إلى ربه لا بُد أنْ يكون الله تعالى أمر به- أمر إيجاب أو استحباب- أو أمر به رسول الله ﷺ- أمر إيجاب أو استحباب- فيجب على كل مُكلف أنْ يسأل قبل أنْ يشرع في أي عمل: هل هذا العمل أمر به الله سبحانه في كتابه؟ هل أمر به رسول الله ﷺ في حديث صحيح ثبت عنه؟ فإذا وجد العمل له أصل في الكتاب والسنة أو أحدهما، فليفعله، بشرط أنْ يكون على الوصف الذي جاء عن النبي ﷺ.

**المقصودُ بالوصف:** الكيفية التي كان النبي ﷺ يؤدي بها العبادات.

**مثالُ ذلك:** الصلاة أمر الله تعالى بها في الكتاب والسنة، ولكن كيف نصلي؟

لا تصح الصلاة إلا إذا كانت على الوصف الذي كان يفعله رسُول الله ﷺ، فقد قال: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»(١).

فإذا صلى أحد الظهر ستًا، أو صلى قبل دخُول الوقت، فتكون صلاته

(١) أخرجه البخاري (٦٣١) ومُسلم (٦٩٧).

باطلة، مع أنه أتى بأصل العبادة التي أمر به الله تعالى ورسوله في الكتاب والسنة، ولكن لم يأت بوصفها، أي كما كان يفعلها النبي ﷺ.

وقد قال ﷺ عندما كان يحج بأصحابه: **«خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»**(١).

فمَن طاف بالبيت خمسًا مثلا بدلاً من سبع بطل طوافه، رغم أنه أتى بأصل العبادة، وهكذا في جميع العبادات، من تلاوة القرآن والذكر، والصيام والصدقة إلى غير ذلك، إن لم تكن على الصفة التي وردت عن النبي ﷺ فقد وقع في البدعة.

كمَن جمع ثلاثين شخصًا، وكل واحد قرأ جُزءًا، وتم ختم القرآن في نصف ساعة وإهداء ثوابه للميت، وهو ما يُسمّى «ختمة القرآن» فهذا العَملُ مردودٌ على صاحبه؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى لم يأمُر به ولم يأمُر به رسُول الله ﷺ بهذا الوصف، وقد قال ﷺ: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»**(٢).

وفي رواية: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»**(٣).

عَنْ عَمْرُو بْنُ يَحْيَى، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ، مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قُلْنَا: لَا، بَعْدُ. فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قُمْنَا

---

(١) أخرجه النسائي (٥/٢٧٠) من حديث جابر رضي الله عنه، وأخرجه مُسلم بنحوه (١٢٩٧) عن جابر أيضًا.

(٢) أخرجه مُسلم (١٧١٨/١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومُسلم (١٧-١٧١٨).

إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - إِلَّا خَيْرًا. قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ. قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حصًا، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوِ انْتظارَ أَمْرِكَ. قَالَ: «أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ»، ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟» قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حصًا نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ. قَالَ: «فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ». قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ. قَالَ: «وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا: **أَنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ** "، وَايْمُ اللَّهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ(١).

**قال ابنُ القيم ﵀ في مَعرض كلامه عن خطر فتنة الشبهات:** ولا يُنجي من هذه الفتنة إلا تجريد اتباع الرسول، وتحكيمه في دق الدِّين وجِلّه، ظاهره

---

(١) أخرجه الدارمي (٢١٠)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٢٠٠٥).

وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه، فيتلقى عنه حقائق الإيمان وشرائع الإسلام... فالهدى دائر على أقواله وأفعاله، وكل ما خَرج عنها فهو ضلال.

فإذا عقد قلبه على ذلك، وأعرض عمّا سواه، ووزنه بما جاء به الرسول- فإن وافقه قَبله، لا لكون ذلك القائل قاله، بل لموافقته للرسالة، وإن خالفه ردّه، ولو قاله من قاله- فهذا الذي يُنجيه من فتنة الشبهات، وإن فاته ذلك: أصابه من الفتنة بحسب ما فاته منه.

وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهْم فاسد، وتارة مِن نقل كاذب، وتارة من حَق فائت خفي على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد وهوىً متبع، فهي مِن عَمى في البصيرة، وفساد في الإرادة [١].

**فائدة جليلة**

اعلم أنّ الأصل في العبادة المنع، إلا إذا أذن بها الله تعالى ورسوله، وقد تقدم بيان ذلك.

والأصلُ في العادات الإباحة، إلا إذا خالفت نصًا من الكتاب أو السنة.

قال شيخُ الإسلام ﷺ: الأصلُ الذي بنى عليه أحمد وغيره مذاهبهم، أنّ الأعمالَ عبادات وعادات، فالأصلُ في العبادات لا يشرع منها إلا ما شرعه الله، والأصل في العادات لا يحظر منها إلى ما حظره الله... فمَن اتبع دين آبائه وأسلافه لأجل العادة التي تعودها، وترك الحق الذي يجب اتباعه، فهذا هو المقلد المذموم[٢]، وهذه حال اليهود والنصارى، بل أهل البدع والأهواء في

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٨٨٧-٨٨٨).

(٢) سبق بيان ذم التقليد، وأقوال أهل العلم في ذلك.

هذه الأمة الذين اتبعوا شيوخهم ورؤساءهم في غير الحق، كما قال تعالى: {يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠} [الأحزاب: ٦٦-٦٨]. وذكر آيات أخرى، ثم قال: وأمثال ذلك مما فيه بيان من أطاع مخلوقًا في معصية الله كان له نصيبٌ من هذا الذم والعقاب(١).

## خوفُ السلف من الوقوع في البدعة، وحرصهم على التمسك بالسنة

من تأمّل في سِير السلف عَلم قدْر هؤلاء العُقلاء الأبرار الأخيار، الذين مُلئت قلوبهم بحب الله ورسوله، فعلموا أنْ لا نجاة ولا فلاح إلا بالاتباع، فكانوا أشد الناس حرصًا على اتباع رسول الله ﷺ وأبعدهم عن الابتداع، وكلما اقتربت من النبع كان أصفى، فأصفى القلوب وأنقها وأكثرها حبًّا واتباعًا لنبينا ﷺ هُم الصحابة الكرام ثم مَن تبعهم بإحسان، فقد ثبت عَنْ رسُول الله ﷺ أنه قالَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(٢).

عَنْ أبي ذَرٍّ رَضي اللهُ عَنْه: قَالَ: «لَوْ وَضَعْتُمُ الصَّمْصَامَةَ (٣) عَلَى هَذِهِ - وَأَشَارَ إِلَى قَفَاهُ - ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنِّي أُنْفِذُ كَلِمَةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ تُجِيزُوا عَلَيَّ لَأَنْفَذْتُهَا»(٤).

قال مُجاهد ﷺ: كُنَّا مَعَ ابْنِ عُمَرَ فِي سَفَرٍ، فَمَرَّ بِمَكَانٍ فَحَادَ عَنْهُ، فَسُئِلَ لِمَ

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/١٩٧، ١٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥١) ومسلم (٢٥٤١).

(٣) الصَّمْصامةُ: السيف القاطع- والجمع: صَماصِم. اللسان (٥/٤٠٣).

(٤) أخرجه البخاري مُعلقًا بصيغة الجزم ( كتاب العلم، باب: العلم قبل القول والعمل، ١/ ص ٢٤، ٢٥، ط طوق النجاة).

فَعَلْتَ؟ فَقَالَ: "إنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَ هَذَا فَفَعَلْتُ ".[1]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَإِنْ رَآهَا النَّاسُ حَسَنَةً»[2].

قال سُفيان الثوري ﵀: «إِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تَحُكَّ رَأْسَكَ إِلَّا بِأَثَرٍ فَافْعَلْ»[3].

عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، قَالَ:«مَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ عَامٌ إِلَّا أَحْدَثُوا فِيهِ بِدْعَةً وَأَمَاتُوا سُنَّةً ، حَتَّى تَحْيَا الْبِدَعُ وَتَمُوتَ السُّنَنُ». وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «حَتَّى تَظْهَرَ الْبِدَعُ»[4].

قال أبو عُبيد القاسم بن سلام ﵀[5]: المتبعُ للسنة كالقابض على الجمر،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/٣٢) وابن بطة في الإبانة (٧٤) وغيرهما.

(٢) أخرجه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٦٠).

(٣) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/١٤٢).

(٤) أخرجه المروزي في "السنة" (١٠٠) واللالكائي في "اعتقاد أهل السنة والجماعة" (١٢٥).

(٥) هو: الإمام الفقيه القاضي الحافظ المجتهد، صاحب التصانيف: القاسم بن سلام البغدادي اللغوي، ولد سنة ١٥٧هـ وكان أبوه عبدًا روميًّا لبعض أهل هراة. قال ابن حبان: «كان أحد أئمة الدنيا، صاحب حديث، وفقه، ودين، وورع، جمع وصنف، واختار». له من المصنفات الكثير منها: «غريب الحديث»، و«الأمثال» مات بمكة سنة ٢٢٤هـ على أصح الأقوال، وكان عمره يوم وفاته ٧٣هـ.

تهذيب التهذيب (٨/ ٣١٥)، و سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٠).

وهو اليومَ عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله [1].

**قال الشافعي رحمه الله:** لأنْ يَلقى العبد الله بكل ذنبٍ- ما خلا الشرك- خيرٌ له من أنْ يَلقاه بشيء من الأهواء [2].

**قال البربهاري رحمه الله:** واعلم- رحمك الله- أنّ الدِّينَ إنما جاء من قبل الله تبارك وتعالى، لم يُوضع على عُقول الرجال وآرائهم، وعلمه عند الله وعند رسوله، فلا تتبع شيئًا بهواك، فتمرق من الدين، فتخرج من الإسلام..

**وقال أيضًا رحمه الله:** واعلم أنّ الناسَ لم يبتدعوا بدعة قط حتى تركوا من السنة مثلها، فاحذر المحدثات من الأمور... وكذلك كل بدعة أُحدثت في هذه الأمة كان أولها صغيرًا يُشبه الحق، فاغتر بذلك مَن دخَل فيها ثم لم يستطع الخروج منها، فعظمت وصارت دينًا يُدان به، فخالف الصراط المستقيم.

فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة، فلا تعجلنّ ولا تدخلنّ في شيء منه حتى تسأل وتنظر هل تكلم به أصحاب رسول الله ﷺ أو أحد من العلماء؟ فإن وجدت فيه أثرًا عنهم فتمسَّك به ولا تجاوزه لشيء، ولا تختر عليه شيئًا فتسقط في النار [3].

**قال أبو عثمان الحيري رحمه الله:** مَن أمَرَّ السنة على نفسه قولاً وعملاً نطق بالحكمة، ومَن أمَرّ الهوى على نفسه نطق بالبدعة، قال تعالى: {وَإِن تُطِيعُوهُ

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، لأبي عثمان الصابوني (٢٥٢).

(٢) الأمر بالاتباع (٧١).

(٣) شرح السُّنة (٣٦-٣٨) باختصار.

تَهۡتَدُواْ} [النور: ٥٤](١).

**قال مالكُ بن أنس:** مَن لزم السنة، وسَلِمَ منه أصحاب رسول الله ﷺ ثم مات، كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وإن كان له تقصير في العمل(٢).

**وقال ابنُ عون رحمه الله عند الموت:** السُّنة السُّنة، وإياكم والبدع، حتى مات(٣).

**قال حميدُ بن الأسود رحمه الله:** قال رجلٌ لمالك بن أنس: أُحْرِم من مَسجد النبي ﷺ أو من ذي الحليفة؟ فقال له: بل من ذي الحليفة، فقال الرجل: فإني أحرمت أنا من مسجد رسول الله ﷺ، قال: فقال مالك: {فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣](٤).

**قال أيوبُ السختياني رحمه الله:** ما ازداد صاحب بدعة اجتهادًا إلا ازداد من الله بُعدًا(٥).

**قال الأوزاعي رحمه الله:** عليك بآثار مَن سَلف وإنْ رفضك الناسُ، وإياك وآراء الرجال وإنْ زخرفوا لك القول(٦).

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٧٢٣).

(٢) شرح السنة (١٣٣).

(٣) المصدر السابق.

(٤) الإبانة (١/٩٥).

(٥) حلية الأولياء (٢/٢٨٦).

(٦) أخرجه الآجري في الشريعة (١٣٣).

**قال الليثُ بن سعد** رحمه الله[1]: لو رأيتَ صاحبَ بدعة يمشي على الماء ما قبلته.

**فقال الشافعي**: إنه قد قصر، لو رأيته يمشي في الهواء ما قبلته[2].

**وعن عبد الله بن أبي سَلمة** رحمه الله: أنّ سعد بن مالك رضي الله عنه سمع رجُلاً يقول: لبيك ذا المعارج، فقال: ما كنا نقول هذا على عَهْد رسُول الله ﷺ[3].

**قال الزهري** رحمه الله: الاعتصام بالسنة نجاة[4]. انتهى.

لو عمدت إلى كتب السلف الصالح لجمع أقوالهم في هذا الباب لطال المرام، فالموفق يكفي باليسير، والمخذولُ لا يشفيه الكثير، والله الهادي إلى سواء السبيل.

## النهي عن مُجالسة أهل البدع والاستماع إلى حديثهم

قال الله تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ} [الأنعام: ٦٨].

**قال القرطبي** رحمه الله: في هذه الآية ردّ من كتاب الله عز وجل على مَن زعم

---

(١) هو: الإمام الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث فقيه أهل مصر يقال: أنه مولى خالد بن ثابت بن ظاعن الفهمي، الحافظ، شيخ الإسلام ولد في شعبان سنة أربع وتسعين، ومات يوم الجمعة ليلة النصف من شعبان سنة خمس وسبعين ومائة.
سير أعلام النبلاء (٨/١٣٦)، وتهذيب الكمال (٢٤/٢٥٥).

(٢) تلبيس إبليس (٢٤) لابن الجوزي.

(٣) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع (٨٢).

(٤) الحجة في بيان الحجة (١٠٩) للأصبهاني.

أنّ الأئمة الذين هم حُجَجٌ وأتباعهم لهم أنْ يخالطوا الفاسقين ويصوبوا آرائهم تقية.

وذكر الطبري عن أبي جعفر محمد بن عليّ رضي الله عنه أنه قال: لا تجالسوا أهل الخصومات، فإنهم يخوضون في آيات الله.

**قال ابن العربي** رحمه الله[1]: وهذا دليلٌ على أنّ مجالسة أهل الكبائر لا تحل[2].

**وقال ابن خُويزمنْدَاد** [3]: مَن خاض في آيات الله تُركت مجالسته وهُجر، مؤمنًا كان أو كافرًا. قال: وكذلك منع أصحابنا الدخول إلى أرض العدو ودخُول كنائسهم والبيع، ومجالسة الكفار وأهل البدع، وألا تعتقد مودتهم، ولا يسمع كلامهم ولا مُناظرتهم [4].

---

(١) هو: محمد بن عبد الله بن عبد الله، ابن العربي الأندلسى الأشبيلى المالكى، ولد سنة ٤٦٨ هـ، وتتلمذ على الغزالي، وأبو بكر الشاشي، وهو صاحب عارضة الأحوذي، وأحكام القرآن، والعواصم من القواصم، توفي سنة ٥٤٣ هـ. انظر: بغية الملتمس (ص: ٩٢) ، وفيات الأعيان (١ / ٤٨٩)، وسير أعلام النبلاء (٢٠/١٩٧).

(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/٢٨٦).

(٣) ابن خويز منداد: هو محمد بن أحمد بن عبد الله، الإمام العلامة شيخ المالكية، أبو بكر البغدادي،

صاحب أبي بكر الأبهري، من كبار المالكية العراقيين. صنف كتابا كبيرا في الخلاف، وآخر في أصول الفقه، وكتاب " أحكام القرآن "، وله اختيارات في الفقه خالف فيها المذاهب. قال أبو الوليد الباجي: لم أسمع له في علماء العراقيين ذكرا، وكان يجانب الكلام جملة، وينافر أهله حتى يؤدي به ذلك إلى منافرة المتكلمين من أهل السنة، وحكم على اهل الكلام أنهم من أهل الأهواء. توفي سنة ٣٩٠ هـ. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي ٨/ ٦٨٠ – ديوان الإسلام ٢/ ٢٤٣ .

(٤) هذا إذا كان صاحبُ البدعة مُصرًا على بدعته، أما إنْ كان عنده شبهة تأويل فالمناظرة =

وقد قال بعضُ أهْل البدع لأبي عمران النخعي: اسمع مني كلمة، فأعرض عنه، وقال: ولا نصف كلمة، ومثله عن أيوب السختياني... فبَطل بهذا كله قول مَن زعم أنّ مجالستهم جائزة إذا صانوا أسْمَاعَهُم(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضي الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْمَدِينَةُ حَرَمٌ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدْلٌ، وَلَا صَرْفٌ**(٣)»(٤).

وعَنْ عَامِرِ بْنُ وَاثِلَةَ ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسِرُّ إِلَيْكَ، قَالَ: فَغَضِبَ، وَقَالَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسِرُّ إِلَيَّ شَيْئًا يَكْتُمُهُ النَّاسَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَنِي بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ، قَالَ: فَقَالَ: مَا هُنَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ**

=

ربما جعلته يرجع إلى الحق، كما فعل ابن عباس رضي الله عنهما عندما ناظر الخوارج فرجع منه خَلقٌ كثير، وسيأتي بيان ذلك.

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٥، ١٦) للقرطبي.

(٢) صحيحٌ: سُنن أبي داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨).

(٣) قال المازري: اختلفوا في تفسيرهما، فقيل: الصرف: الفريضة، والعدل: النافلة. وقال الحسن البصري: الصرف: النافلة، والعدل: الفريضة، عكس قول الجمهور. وقال الأصمعي: الصرفُ: التوبة، والعدل: الفدية. ورُوي ذلك عن النبي ﷺ. وذكر أقوالًا أخرى. مُسلم بشرح النووي (٥/ ١٥٥).

(٤) أخرجه مُسلم (١٣٧١).

وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ»(١).

تأمّل، كيف حَذّر رسولُ الله ﷺ عن إيواء المبتدع، وأوجَب الوعيدَ الشديد على مَن آواه، فكيف بعُقوبة صاحب البدعة نفسه؟

قال الحَسَن البصري رحمه الله: " صَاحِبُ الْبِدْعَةِ لَا تُقْبَلُ لَهُ صَلَاةٌ وَلَا صِيَامٌ وَلَا حَجٌّ وَلَا عُمْرَةٌ وَلَا جِهَادٌ، وَلَا صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ ".(٢)

عَنْ أَبِي قِلَابَةَ رحمه الله، قَالَ:" لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ بَعْضَ مَا تَعْرِفُونَ ".(٣)

وعن الحَسَن رحمه الله: قال: «لَا تُجَالِسْ صَاحِبَ هَوًى؛ فَيَقْذِفَ فِي قَلْبِكَ مَا تَتْبَعُهُ عَلَيْهِ فَتَهْلِكَ ، أَوْ تُخَالِفَهُ فَيَمْرَضَ قَلْبُكَ» (٤).

وعن مفضل بن مُهلهل رحمه الله: قال: لو كان صاحب البدعة إذا جلست إليه يحدثك ببدعته حذرته وفررت منه، ولكنه يحدثك بأحاديث السنّة في بدو مجلسه، ثم يدخل عليك بدعته، فلعلها تلزم قلبك، فمتى تخرج من قلبك؟(٥).

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: لا تجلس مع صاحب بدعة، فإني أخاف أن

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨) وغيره.

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (١٤٤).

(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٣٦٤) واللالكائي في اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٠٤) و"البدع" لابن وضاح (ص: ٩٤).

(٤) انظر "البدع" لابن وضاح (١٣٢).

(٥) الإبانة (١/١٥٨).

ينزل عليك اللعنة[1].

**وعن سلام بن أبي مُطيع رحمه الله:** أنّ رجُلاً من أصحاب الأهواء قال لأيوب السختياني: يا أبا بكر ، أسألك عن كلمة، فولى أيوب، وجعل يُشير بإصبعه: ولا نصف كلمة، ولا نصف كلمة[2].

**قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في رسالته إلى مُسدَّد:** ولا تشاور أهل البدع في دينك، ولا ترافقه في سفرك[3].

**قال أبو بكر الآجري رحمه الله[4] بعد أنْ ذكر جُملة من الآثار التي تنهي عن مجالسة المبتدع:** وبعد هذا نأمر بحفظ السنن عن رسول الله ﷺ وسنن أصحابه رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان، وقول أئمة المسلمين مثل: مالك بن أنس، والأوزاعي وسفيان الثوري وابن المبارك وأمثالهم، والشافعي، وأحمد بن حنبل والقاسم بن سلام، ومن كان على طريقة هؤلاء من العلماء رضي الله عنهم، وننبذ من سواهم، ولا نُناظر، ولا نجادل، ولا نخاصم، وإذا لقي صاحب بدعة في طريق أخذ في غيره، وإن حضر مجلسًا هو فيه قام عنه، هكذا

---

(١) أخرجه البربهاري في "شرح السنة" (ص: ١٣٦).

(٢) أخرجه الآجري في "الشريعة" (ص: ٤٨).

(٣) الآداب الشرعية (٣/٤١٦).

(٤) هو: محمد بن الحسين بن عبد الله أبو بكر الآجري وكان ثقة صدوقا دينا، عالمًا عاملاً صاحب سنة واتباع، وله تصانيف كثيرة. وحدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة، ثم انتقل إلى مكة فسكنها حتى توفي بها في المحرم سنة ستين وثلاثمائة.
تاريخ بغداد (٣/٣٥)، تذكرة الحفاظ (٣/٩٩).

أدّبنا مَن مضي من سلفنا[1].

## من علامات أهل البدع

سماتُ أهل البدع كثيرة، نذكر هٰهنا أظهرها، ألا وهي الطعن في علماء أهل السنة والجماعة من السلف والخلف، وخاصة أصحاب الحديث، والهدف من الطعن فيهم وفي عدالتهم ذهاب هيبتهم من قلوب طلبة العلم فضلاً عن عوام المسلمين، وبذلك يصلون إلى أهدافهم الخبيثة من نقض الإسلام ومحو الشريعة، فإذا رأيت الرجل يطعن في أصحاب الحديث، كالإمام البخاري ومسلم والترمذي وأحمد وغيرهم، وفي فقهاء أهل السنة، كالشافعي ومالك وابن تيمية، فاعلم أنه زنديق منافق صاحب بدعة، يريد هدم سنة رسول الله ﷺ بالطعن في حفظتها وعُلمائها.

ثم بعد ذلك تراه يطعن في الصحابة الكرام، يريد بذلك الطعن في القرآن، لأنه يعلم أن الذين جمعوا القرآن هم الصحابة- رضي الله عنهم- وهم أيضًا الذين نقلوا لنا السنة، فالطعن فيهم طعن في الدين كله ومحو للشريعة.

**قال ابن بطة رحمه الله في معرض كلام عن علامات أهل البدع:** هم قوم علموا أن أهل الملة وأهل الذمة والملوك والسوقة والخاصة والعامة وأهل الدنيا كافة، إلى الفقهاء يرجعون، ولأمرهم يُطيعون، وبحكمهم يقضون في كل ما أشكل عليهم، وفي كل ما يتنازعون فيه فعلى فقهاء المسلمين يعولون ففي رجوع الناس إلى فقهائهم وطاعتهم لعلمائهم ثبات الدين، وإضاءة للسبيل، وظهور لسنّة رسول الله، وكل ذلك فيه غيظ لأهل الأهواء واضمحلال للبدع، فهم

---

(١) الشريعة (٥٤).

يوهون أمر الفقهاء ويضعفون أصولهم ويطعنون عليهم بالاختلاف لتخرج الرعية عن طاعتهم، والانقياد لأحكامهم، فيفسد الدين، وتترك الصلوات والجماعات، وتبطل الزكوات والصدقات والحج والجهاد، ويستحل الربا والزنا والخمور والفجور، وما قد ظهر مما لا خفاء به على العقلاء (١).

قال أبو عُثمان الصابوني رحمه الله(٢): وعلاماتُ البدع على أهلها ظاهرة بادية، وأظهر آياتهم وعلاماتهم: شدة مُعاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ، واحتقارهم لهم... اعتقادًا منهم في أخبار رسول الله ﷺ أنها بمعزل عن العلم، وأنّ العلم ما يُلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة، ووساوس صُدورهم المظلمة، وهواجس قلوبهم الخالية عن الخير العاطلة، وحُجَجهم - بل شُبههم - الداحضة الباطلة {أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ} [محمد: ٢٣]، {وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ} [الحج: ١٨].

سمعتُ الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول: سمعتُ أبا علي الحسين بن على الحافظ يقول: سمعتُ جعفر بن أحمد بن سنان الواسطي يقول: سمعتُ أحمد بن سنان القطان يقول: ليس في الدنيا مُبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، فإذا ابتدع الرجل نُزعت حلاوة الحديث من قلبه.

وعن أبي عبد الله أحمد بن حنبل، أنّ أحمد بن الحسَن قال: يا أبا عبد

---

(١) الإبانة (٢/ ٢٣١).

(٢) هو: الفقيه المحدث المفسّر الخطيب إسماعيل بن عبد الرّحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عامر بن عابد شيخ الإسلام أبو عثمان الصّابوني، كان مولده سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، ومات سنة تسع وأربعين وأربعمائة

طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٤/ ٢٧١)، الأعلام للزركلي (١/ ٣١٧).

الله ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال: أصحاب الحديث قوم سوء، فقام أحمد بن حنبل وهو ينفض ثوبه ويقول: زنديق! زنديق! زنديق! حتى دخل البيت [1].

قال الشاطبي ﷺ في معرض كلامه عن أهل البدع: وردّهم للأحاديث التي جرت غير مُوافقة لأغراضهم ومذاهبهم، ويدعون أنها مخالفة للمعقول، وغير جارية على مقتضى الدليل فيجب ردها،كالمنكرين لعذاب القبر، والصراط، والميزان، ورؤية الله عز وجل في الآخرة، وكذلك حديث الذباب وقتله، وأنّ في أحد جناحيه داءً وفي الآخر دواءً، وأنه قدم الذي فيه الداء، وحديث الذي أخذ أخاه بطنه فأمر النبي ﷺ بسقيه العسل[2]... وما أشبه ذلك من الأحاديث الصحيحة المنقولة نقل العُدول.

وربما قدحوا في الرواة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ومن اتفق الأئمة من المحدِّثين على عدالتهم وإمامتهم كل ذلك ليردوا به على من خالفهم في المذهب.

وربما ردّوا فتاويهم وقبّحوها في أسماع العامة، ليُنفروا الأمة عن اتباع السنة وأهلها[3].

### هل يجب هجرة أهل البدع مطلقًا؟

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٣٠٠-٣٠٢) بتصرف يسير.

(٢) وكلها أحاديث صحيحة مَشهورة.

(٣) الاعتصام (١/ ٢٩٤).

اعلم أنّ أصحابَ البدع على ضربين:-

**الأول:** صاحب بدعة مُعاند لشرع الله، مُصر على بدعته من بعد ما تبيّن له الحق، وظهر له الدليل، فهذا يجب هجره، لأنّ الهوى يضل صاحبه، فلا ينتفع بالأدلة، قال جلّ ذكره: {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ} [القصص: ٥٠].

وقال سبحانه: {يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ} [ص: ٢٦].

لأنّ العقلَ إذا لم يكن مُتبعًا للشرع، لم يبق له إلا الهوى والشهوة، فيضل ويُضل، وهذا الصنف هم الذين نهى الله تعالى ورسوله والسلف الصالح من مجالستهم، والاستماع إلى كلامهم، وقد سبق بيان ذلك.

**الثاني:** صاحبُ بدعة مُعتقدًا أنه على الحق، إما لجهله بالسنة، وإما لشبهة عنده جعلته يعتقد أنه على الحق، فهذا الذي يجب على الراسخين في العلم من الدعاة والعُلماء- وليس عوام المسلمين أو طالب العلم المبتدئ- أنْ يُناظروه حتى يرجع إلى الصواب، كما فعل ابن عباس رضي الله عنهما مع الخوارج فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم فقتلوا[(١)].

**مَن هُم الخَوارج؟**

---

(١) انظر مُناظرة ابن عباس للخوارج، من "الاعتصام" للشاطبي (٢/٦٩٦-٢٩٨)، وتلبيس إبليس (٩٥-٩٧).

الخوارجُ أولُ فرقة ظهرت في الأمة الإسلامية، وفارقت جماعة المسلمين، وأول أفرادها وإمامهم ومقدمهم هو «ذو الخويصرة»، وهو رجلٌ من بني تميم، خرج على النبي ﷺ بالقول، كما ثبت في الصحيحين من حَديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا، أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اعْدِلْ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ»**، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ...»**[1].

تأمّل حال هؤلاء الخوارج: يُكثرون من الطاعات على وجه يعجز الصحابة على أن يأتوا بمثله، كما قَالَ رسُولُ الله ﷺ في الحديثِ المتقدم: **«يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ... »** إلى قوله: **«يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»**.

فلماذا يمرقون من الإسلام مع شدة اجتهادهم في الطاعات من صلاة، وصيام، وقيام، وتلاوة القرآن؟

**الجوابُ:** لأنهم ابتدعوا في الدين ما ليس منه، فقدموا العقل على النقل، فكفروا المسلمين بالذنوب واستباحوا دمائهم وأموالهم واستباحوا الخروج عن حُكام المسلمين، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك كله، والمقامُ لا يتسع لبسط

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠، ٦١٦٣، ٦٩٣٣) ومُسلم (١٤٨-١٠٦٤) واللفظ له.

هذه المسألة، ولكن الشاهدَ أنّ العبرة ليست بكثرة الطاعة، وإنما بالاتباع، فلا تغتر، ولا تعجب بعمل أحد حتى تنظر إلى عمله، هل هو مُوافقٌ للسنة؟ فإنْ لم يكن مُوافقًا للسنة، فاعلم أنه مُبتدعٌ ضال لا يُقبلُ منه عَمل، وإنْ كانت أعماله كالجبال، وقد سَبَق بيان الأدلة على ذلك.

**قال ابنُ الجَوزي رحمه الله[1] في مَعْرِض تعقيبه على حديث ذي الخويصرة المتقدم:** فهذا أول خارجيّ خَرَج في الإسلام، وآفته أنّه رضي برأي نفسه، ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ، وأتباعُ هذا الرجل هم الذين قاتلوا عليّ بن أبي طالب.[2].

**تمّ بحَمْد الله تعالى.**

---

(١) هو: الشيخ، الإمام، العلامة، الحافظ، المفسر، صاحب التصانيف شيخ الإسلام، جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله ينتهي نسبه بـ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق. ولد سنة تسع وخمسمائة، حامل لواء الوعظ، كان بحرا في التفسير، علامة في السير والتاريخ، ومعرفة فنونه، فقيها، عليما بالإجماع والاختلاف، جيد المشاركة، إليه انتهت معرفة الحديث وعلومه، والوقوف على صحيحه من سقيمه. توفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة.
سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١/٣٦٥)، وفيات الأعيان (٣/١٤٠)، تاريخ الإسلام للذهبي (١٢/١١٠٠).

(٢) تلبيس إبليس (ص: ٩٥).

الفهرس

| | |
|---|---|
| كيف نتجنب الوقوع في البدع؟... | |
| كيف نحقق الاتباع؟... | |
| فائدة جليلة.... | |
| خوفُ السلف من الوقوع في البدع وحرصهم على التمسك بالسنة.... | |
| النهي عن مجالسة أهل البدع والاستماع إلى حديثهم... | |
| من علامات أهل البدع............. | |
| هل يجب هجرة أهل البدع مُطلقًا؟ | |
| من هم الخوارج؟....... | |